

الصهيون الغريبة

قصة حقيقية دامية وقعت في مدينة (طابجة)
إحدى سواحل بلاد المغرب الأقصى

مصدرة بنبرة عن أخلاق اليهود وعاداتهم وأوامر رؤسائهم
لهم في معاملة غيرهم من الطوائف الأخرى

نشرها

مكتب مكافحة الوباء الصهيوني في الشرق الأوسط

سنة ١٩٤٦

تمهيد

لا نريد بكتابة هذه القصة الواقعية التي وقعت في مدينة طابجة إحدى سواحل المغرب الأقصى وكان بطلها يهودياً يدعى ناهون غادر البلاد الروسية إلى تلك المنطقة العربية لكي يجمع المال ويصرفه في سبيل الصهيونية وتأسيس المملكة السلطانية اليهودية بفلسطين، كما وإنني لا أريد الإفاضة بالبحث عن الصهيونية ومنشئها، وكيف تكونت، وتاريخ تحولها من أوروبا إلى فلسطين الشديدة العربية، فإن كل ذلك كاد يكون معلوما لدى الخاص والعام مما نشرته الصحف وعالجته أقلام الكتاب. فإن قضية فلسطين ليست بنت يومها وأمسها، بل هي قضية قديمة العهد لم يظهر أثرها الفعال إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أي منذ سنة ١٩١٩ بدأ نشاطها يظهر للعيان، مع أن اليهود والصهيونيين كانوا يتسربون من روسيا إلى فلسطين بطريقة سرية أحكموا صنعها منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني فكل من زار فلسطين في ذلك العهد التي كانت تسمى فيه فلسطين (بسوريا الجنوبية) كان يرى كيف يتسرب اليهود إليها ويؤسسون الفنادق، والبانسيونات، يستخدمون فيها أجمل بناتهم وأولادهم لاستجلاب الناس إليها وابتزاز أموالهم بصورة يحمر منها وجه الإنسان خجلاً.

التاريخ يحكم على أخلاق اليهود

لو دقق القارئ الكريم في كتب التاريخ ودرس أخلاق الأمة اليهودية الصهيونية من أول نشأتها إلى الآن لوجد أنها أمة طبعها

الاحتيال ، والمكر ، ودأبها ارتكاب الفظائع وكبائر الحرمات ، واختلاس الأموال ، تميل إلى كل عمل منكر ، وترتكب المناعى ، وتبذل أعراض شبابها ، وشبابها في سبيل جمع المال ، سريعة الانقياد إلى الاستعباد ، ميالة إلى الذل ، لا تعترف بحميل ، ولا تقرب بمعروف ، كثيرة التذلل عند الغلبة والسقوط ، قاسية سفاكة في الانتصار. وهذا ما رمى بها في هذه الذل وأدى بها إلى التفرق والشتات وهى مع ذلك لم تردع ولم تعتبر بل أنها إلى يومنا هذا لا تزال ترتكب فظائع المنكرات ، وتستعمل طرق الغش والخداع ، وراخيانة والغدر كما أشاهده الآن من خيانة هيأتها الإرهابية والسياسية للحكومة البريطانية ، والغدر برجال جيشها ، وذلك جزاء إحسان البريطانيين لهم. وإيوائهم في فلسطين ، فهذه الأخلاق المنحرفة هى التى ردت باليهود في هذه الذل ، وأدت بهم إلى التفرق والشتات وهم مع ذلك لم يرتدعوا ، ولم يعتبروا بل انهم إلى آخر لحظة لا يزالون يرتكبون عظام المنكرات ، ويستعملون طرق الغش والخداع ولم يخشوا أن جعبتهم هذه الأخلاق عرصة لإهانة الشعوب ، ونفوز الهيات الاجتماعية كما هو مشاهد الآن في كثير من البلاد الأوروبية وجميع البلاد الآسيوية ، والأفريقية بالرغم من انتصار بعض النشيين هم ، وبعض الجاهلين بأخلاقهم وأحوالهم .

فرعما عن كل ذلك تراهم متمسكين بعرى الأمان والآمال ، جلدين غير هازئين لتحقيقها وإبرازها إلى حين الوجود وهى احتلال جميع الأراضي المقدسة ، وإعادة ملكة سليمان . وإنما ثبت للقراء هنا خطاب.

فقطع لرئيس اليهود الديني ألقاه في اجتماع سرى لليهود في مدينة
لنتغراد ، أي بطرسبورج في عهد القيصرية .
قال فخر الله فوه ولعن أبوه :

لقد سن آباءنا لنا جماعة المنتخبين من شعب إسرائيل فرضاً قضى
أن نجتمع ولو مرة في كل جيل على الأقل حول قبر السيد الأكبر
والقديس الأعظم الرئيس ، كاليب سيمون بن يهودا ، حيث تعطى
لرؤساء كل سبط من أسباطه سلطة الاقتدار على الأمور وحق الرئاسة
على التالدين من بني إسرائيل . وقد مضى أيها الأعزاء ثمانية عشر جيلاً
والحرب اندبن قائمة على قدم وساق من الشعوب الذين اغتصبوا منه
القوة التي وعده بها إبراهيم ومع أن إسرائيل كان في خلالها ذليلاً مهاناً
تطأه الأرجل وتهده الأعداء بالقتل ، والهلاك ، والسبي ، والنهب
والطرد وجميع أنواع الإهانة والعذاب لم يسقط ولم يتولاه اليأس
والقنوط بل ثبت ثبات الأبطال وتفرق في أقطار المسكونة . وهذا
لا يحط بقدره بل بهرمان أقوى وبأمر أخرى وجب أن تصبح
الأرض تحت حكمه وفي قبضة يده . فإن آباءنا ورؤساء ديانتنا قاوموا
الصليب أجيالاً عديدة وسيناً طويلاً . مع أنه قد عظمت قوته وكبرت
شوكته حتى أصبح والملوك تعيش تحت لوائه والولاة ترفل ببنعمائه
وبدل أن يضر ذلك بأمنا وصوالحها لم تزل قوتها تزداد يوماً عن يوم
والشعب يرتفع ويعظم . فقد خضعت الأجيال الماضية لأعدائنا لكن
الجيل الحاضر والأجيال الآتية يجب أن تخضع لحكمنا وتنفذ مقاصدنا
بوهي إعادة ملك سليمان لنا جماعة بني إسرائيل . واحتلال أرض المعاد

نعم: لا بدع أنها لنا فقد ملك شعبنا بقوة أعظم الملوك ونال بصبره وثباته خير كل مملوك ألا وهو المال العجل السمين الذى قدمه هارون قربانا لله وأصبح له الأرض فى عصرنا هذا

فكيف لا تؤمل منه إرجاع السلطة لنا وشفاء بطبعته اناطة القدرة والحكم بنا دون غيرنا وهو بنفسه القدرة والقوة وبه الجزاء ومنه الأمل وهو مفرج الكروب مذل الصعاب وهو هو المحور الذى يدور عليه الكون كافة هو ملك الاستقبال هو حسن المسأل . هذه المرة العاشرة التى بها يجتمع رؤساء الأسباط حول لحد سيدنا كاليب سيمون بن يهوذا فى خلال ألف سنة ثارت بها على أممهم الاضطهادات الدائمة المشنومة للعداوة فيما يجب اتخاذه من الوسائط لتلافي تلك المصائب والانتقام ممن سبها لنا وجرها على رؤوسنا . نعم إن الهيبة فى تلك المرات العشر المذكورة قررت وجوب المقاومة والثبات وجاهرت بالعداوة لأعدائها وأقامت عليهم الحرب على ساق وقدم ولكن لم تكن لهم القوة التى لنا الآن ولا ذلك النفوذ الذى تحصلنا عليه بما ملكناه من الأموال العظيمة وذاخرناه لهذا القصد . فيجب والحالة هذه أن يحى ذلك فىنا روح الأمل ونهب من رقدتنا فقد طاعت الأيام لنا وخضعت لأحكامنا وبذا بلا شك نتحصل على الغرض المقصود والغاية القصوى ونقتطف ثمرات ما أظهره شعبنا المقدس من الصبر الجميل والشجاعة العظيمة فى تلك الأيام المشنومة أيام كان أعداؤنا المسيحيون لم يخلعوا بعد عنهم ثوب الهمجية والتوحش أما الآن وقد خلوا فى دورهم الجديد دور التمدن الانسانى فالواجب بأن نتخذ

تمدنهم هذا درعا متينا وحصنا حصينا تنق وراءه سهام العدو ويدرا عنا تواتر ضرباته وتندبر في هلاكه وإسقاطه إلى دركه لا يكون له منها قيام . ونجتاز بقدم السرعة والثبات تلك النقطة التي تحول بيننا وبين قصدنا السامى وغايتنا المقدسة .

فحينئقل كل منكم معى بالفكر أيها الأحباء ولننعم النظر في حالة أوروبا الحاضرة بعين المتقدم البصير مانهجه إخواننا اليهود من الخطط واتخذوه من الطرق التي فتحت لهم ينابيع المكاسب ، وأمطرت عليهم سحائب الأرباح من ابتداء جيلنا الحاضر فانسالت بينهم كالأنهار فنظفت لهم الأرض ومحت ما كان مدونا في صفحات التاريخ من دواعي الذل والهوان ، ومهدت لهم السبيل وسهلت الطرق الموصلة لتنفيذ مآربهم وتتميم غاياتهم . فقد أصبح اليهود عموماً وآل روتشليد خصوصاً أرباب المال وأصحاب الحل والعقد في باريس ، ولندن ، وبطرسبورج ، لسنغراد ، وفيينا . وبرلين ، وروما ، وفي جميع الممالك والبلاد فعليهم المعتمد وإليهم في عظام الأمور المرجع . وقد أصبح من المستحيل أن تشرع أعظم دولة وأغنى حكومة في مشروع مهم أو أمر مالى إن لم يمد لهم بنو إسرائيل المساعدة ويمدوهم بالملايين والمليارات ، وأي ملك أو أى أمير يسعى لتكثير جيشه أو تقوية عسكره حفظاً على حياته وخوفاً على مركزه الحرج من السقوط والزلة إلا وكامله مثقل بأعباء الديون لنا ، وعليه فأننا أرباب المال وما لبكوا الخزائن وقد يأتى يوم نسترهن الخطوط الحديدية والمعادن والفبارك وعموماً كل شيء ذى مقدار قبالة ما نقدمه إلى الممالك من المبالغ

العظيمة والقناطير المنتظرة وعند ما تعجز الدولة عن تسديد فوائد ديوننا الفاحشة نسترهن أيضاً ضرائب الشعب ومكوسه لتقوم بالعجز وسد المتأخر ويبقى علينا نقطة مهمة وأمر عظيم وهي الفلاحة معدن الغنى وأصل الثروة فإن امتلاك قسم عظيم من عقارات الأرض وأراضي البسيطة تجعل لنا الشرف الأعظم والسلطة الكبرى على كل ذوى الألقاب الشريفة والمقامات السامية ويتبع ذلك أن نحمل ذوى العقارات الأخرى أنواع الضرائب وأعظم المكوس بحجة أن ذلك رفقا بجماعة العمال وإعانة الفقراء المزارعين ليسهل علينا شراؤها ويهون الحصول عليها . وعندما تصير إلينا جميع العقارات ويناط بنا وحدنا أمر الفلاحة ينضم إلينا أواسط الناس والعقلاء والعمال الذين لا مال عندهم ولا وسيلة لهم لاكتساب قوتهم الضروري سوى أشغال اليدين فنستنتج من هؤلاء الفوائد الجمّة ونستعملهم لأغراضنا وتنفيذ ماآربنا فقد قال الحكماء : الفقر فيه العبودية .

إن الشعب الاسرائيلي قد طبع على الطمع والكبر وشب على حب العظمة والجاه . ولقد وهب الله لشعبه الخاص رقط الحياة ، ومكر الثعلب وخصه بالذكاء والحكمة ، ورمى في قلبه حب الوآم والتجمع ، وميزه بالفيرة على أبناء جنسه . فلن يسقط شعب وهبه الله هذه الصفات . قد بلينا بسى بابل ، وذقنا به مر العذاب . أما الآن فقد أصبحنا وحدنا القادرين على كل شيء . هدمت هياكلنا وحرقت مذبحنا ولكن شيدنا منها كثيراً وأقمنا بدلها ألوفا مؤافة . مضى علينا في العبودية ثمانية عشر جيلا وقد خرجنا من وهدة الذل واعتلينا على

كافة الشعوب . ورب قائل يقول بأن البعض من آل إسرائيل يتعمد بالماء ويعتق الديانة المسيحية . لا بأس فقد خفي على ذلك القائل بأن كل من هؤلاء الجاحدين سيكون لنا عوناً على أعدائنا وكذلك رب قائل يقول إن بعض بناتنا يمنحون بشرفهم في سبيل المال نعم لا يعلم أولئك الأغرار أن لكل يهودى ويهودية أن تستعمل جميع الطرق لجمع الأموال وقد أباح لهم المجمع اليهودى باحة أعراض بناتهم ، والسلب ، والنهب ، واتخاذ جميع الطرق المشروعة وغير المشروعة في سبيل جمع الأموال لبناء الهيكل المقدس في أرض المعاد بعد شرائها ولتأسيس مملكة سليمان وطرد أولئك العرب الذين لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم جامعة كل أمير منهم يسير في طريق وكل شخص منهم أنا في فبوسعنا أن نشترى أراضيهم بالأموال بل نشترى اشخاصهم ببناتنا وأموالنا لهذا نقرر نحن في هذا الاجتماع بث هذه الدعاوة بين أبناء إسرائيل في جميع اقطار الأرض ا هـ .

تأمل ايها القارىء الكريم بما يقرره رؤساء الطائفة اليهودية وما يرسلونه من التعاليم إلى أبناء طائفتهم يتضح لك اخلاق هذه الأمة المنبوذة من جميع الأمم الساقطة في وهدة السفالة والشقاء .

كما وإننى أرجو من القارىء الكريم أن يتأكد ان القصة التي سأسوقها له بالطريق الروائى لم تكن إلا قصة حقيقية وقعت في مدينة طابنجة إحدى سواحل بلاد المغرب الاقصى وفي أيام المرحوم السلطان مولاي الحسن الكبير جد السلطان الحالى مولاي محمد وقد أدرك وقوعها كل من المرحومين مولاي عبد العزيز ، ومولاي عبد الحفيظ

سلطاني مراکش وكان وقوعها قبل القضاء على استقلال بلاد المغرب واحتلال الفرنسيين له بمدة قصيرة وقد حدثني بهذه القصة احد شيوخ مدينة (فاس) عاصمة بلاد المغرب الأقصى وذلك في اواخر سنة ١٩٢١ اثناء زيارتي لتلك الربوع العربية الجميلة التي قضى عليها الاستعمار الفرنسي فابتز اموالها ، ونهب حاصلاتها ، واضطهد زعمائها ، وصاب على اعداء المشائق احرارها ، وملا السجون من شبانها إلى غير ذلك من الأعمال البربرية التي تنفطر لها الأفئدة وتستدعي رجالات العرب إلى النظر في حالها ، والتضامن لنصرتها وبذل الأرواح والمهج في سبيل إنقاذها من الاستعمار الفرنسي .

اعود فاقول جمعتني الصدق بذلك الشيخ الوقور احد كبار علماء مدينة فاس وتجارها الأفاضل ناهز الخامسة والسبعين من العمر ، كنت اقضى بعض الوقت في حانوته التجاري نتسامرو وتحدث فسالته كم كان عدد الأجانب من نصارى ويهود في عهد مولاي الحسن الكبير الذي يقده كل مغربي لحمايته المملكة المراكشية ومحافظة على استقلالها ؟ فأجابني : انه لم يكن يوجد في المملكة المراكشية اكثر من ثلاثة افراد من النصارى في مدينة طانجه فقط ولكن يوجد في مدينة الرباط ، وفاس ، والدار البيضاء يهود يسكنون بحى خاص بهم يدعى « الملاح » ولا يحسرون على الخروج من منازلهم بعد غروب الشمس وكذلك يبقون حوانيتهم يوم الجمعة والسبت فاستزدته ايضا عن اخلاقهم وقصصت عليه بعض احوالهم في تركيا ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين وعن جبنهم وخيانتهم وكيفية سعيهم لتأسيس مملكة يهودية في فلسطين .

هناك ضحك الشيخ من عجائب الأمور وتصرفات الزمن وقال : اسمع يا بني اروي لك قصة عجيبة وقعت من يهودى يسكن مدينة طانجه مع رجل مسلم ادت إلى عرضها على القضاء ونظرت هذه القضية في هذه المدينة وكنت من الأشخاص الذين حضروها في دار المحكمه إلى ان فصل فيها وقص على قعه طريقه رايت من الواجب إطلاع العالم العربى عليها فاعتزمت تقديمها للقراء الكرام — بعد التصرف فيها تصرفا لا يمس حقيقتها — بقالب روائى وقسمتها إلى خمسة فصول :

❦ الفصل الأول ❦

حدثني الشيخ الوقور فقال: في السنة الثلاثمائة بعد الألف للهجرة كان في مدينة طانجة من أعمال مراکش . . المغرب الأقصى ، رجل من كبار تجارها اسمه سيدي محمد الجزولي قد عرف بالاستقامة والكمال وحسن السيرة والخصال ومن أحسن ما تصف به أنه كان يزداد لطفاً واتضاعاً كلما زاد ثروته واعتلاء حتى تعلقت به القلوب ولهجت بأدابه الألسن ، وكان له أصدقاء كثيرون أخصهم شباب من العائلات الكريمة اسمه أحمد بن محمد التازي ربي وشب في النعم ولكنه أفرط في الكرم حتى عد مبذراً وتفنن في الجود حتى أصبح مسرفاً وآل به الأمر لخسران معظم أمواله وضياع أكثر أملاكه ولكنه ما فيه من حسن الخصال والصفات كان يلجم عنه ألسنة السفهاء المعتدين فحفظ اسمه ، وصان شرفه وناموسه ، وكثيراً ما كان يحتاج إلى المال فيستمد بصديقه الحميم سيدي محمد الجزولي فيحسن لقاء ولا يخن عليه بمال مع أنه لا يطلب عليه فائدة ولا يذكره بوفاء . فبينما كان سيدي محمد الجزول جالسا ذات يوم في بيته دخل عليه صديقه أحمد وكان قد غاب عنه زمناً فرأى علامة الكدر تلوح على وجهه ودلائل الحزن والكآبة بادية على محياه فسأله ذلك واشتاق

للاطلاع على سره ومعرفة خفايا أمره فبعد أن ارتاح صديقه
هنية قال له :

أهلا بك بعد طول الغيبة ، ومرحبا بعد زمن الفراق
فاخبرني أين كنت ؟ ومن أين أنت آت ، وعلى الخصوص ما الذى
يحزنك ويكدر خاطرك ، فاني أراك كاسف البال ، يادى البلبال ؟
فلعل فى الامكان تعزيزتك وتسليتك فأنا أحب الناس اليك وأعز
الأصدقاء لديك . فأجابه :

إن ما يكدرنى لأمر ذو بال لا يخففه عني الوالد أو الخال
ولا أدرى فائدة من كشف حاجتى اليك إلا تصديق خاطرك ،
او تكدير صفاء راحتك بينما أنت عن ذلك غنى وعن معرفتها
مستغنى .

فرد عليه بقوله : إن كلاك هذا يزيدنى شوقا وتلهفا للاطلاع
على مكنونات سرك فأحلفك فيما بيننا من وثيق المودة أن تبوح
إلى بسرك وتخبرنى بحاجتك فإني مستعد لتضحية النفس فى سبيل
راحتك وتخفيف عنائك وإن لم أقدر على ذلك فاقسم حزنك
وإقسامك همك وغمك فلقد قيل :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فرد عليه بقوله : إننى يا سيدى ما جئت إليك إلا لأعليك

بسرى وأطلب منك العون والمساعدة على أمرى فقد تعودت الاستقاء من بحرك إذا ما تلب غليلي ، والاحتماء بظلك إذا ما أصابني الضر ، ولكنى أحجمت عن طلبى هذا أولاً : لآنى مدين إليك بمبالغ جسيمة أعجز عن وفائها اليوم أو غداً . وثانياً : لآنى أعلم بأن أموالك اليوم موجودة فى بلاد الاسبان ويستحيل عليك الآن قضاء حاجتى وإفراج كرتى . فأجابه : أراك عالماً بحالى ومطلعاً على حقيقة امرى فان جميع أموالى متفرقة والقسم الأعظم منها حملها بطرس وكيلى الأمين إلى اسبانيا . ولكن إن كان المال حاجتك فلا يتعذر على اقتراض ما تطلبه أو التعهد بوفاء دينك لمن تستدين منه فقل لى إذا ما الذى يلزمك من المال ، وما الأمر الذى أحوجك اليه ؟

فرد عليه قائلاً : بارك الله فىك يا صديق ، وجزاك خيراً على مروءتك فمثلك تسكون الاصدقاء ، وبك تقتدى الاخلاق فأليك يا عزيزى حقيقة أمرى وأصل كدرى : إنى ما زلت سائراً بسيرتى المعهودة أضيع أموالى وأنفق ثروتى بالبهزخ والاسراف حتى تكاثرت على الديون ، وأصبحت من ضيق اليد فى شجون فرحلت ابتغى لى فى مدينة فاس عاصمة المغرب ملجأ ولما وصلتها سمعت الناس يلجئون بذكر اميرة من العائلة المستولية تدعى حبيبة قد نبغت بالعلم والأدب ، واتصفت بالعفة والشهامة والكمال

والصيانة ، فضلا عما تفردت به من الجمال الباهر ، والحسن الزاهر
وقد مات أبوها وتركها وحيدة وخلف لها ثروة لا تحصى وغنى
لا يقدر فتقاطر عليها الطلاب أفراداً وأزواجاً من أعيان وأغنياء
فكانت تردهم خائبين تارة بالعنف ، وتارة باللين دون أن تدع
لأحد باباً للكدر ، أو وجهاً للنقم . حتى ظن الناس أنها تكره
الزواج وتؤثر العزلة والافتراد ولكن أخطأوا في ظنهم فإن هذه
السيدة مقيدة بأرادة أبيها المتوفى الذى وضع لها حداً لا تتجاوزه ،
وذلك أنه استحضّر قبل موته ثلاثة أوان أحدها : من الذهب ،
والثانية من الفضة ، والثالثة من الرصاص . ووضع أحدها رسم
ابنته وفي كل منها أيقونة من الشعروأوصاها بأن لا تختار لها زوجاً
إلا من يقع اختياره على الآنية التى فيها صورتها . فامتثلت الأميرة
مضطرة لأمر والدها فمن احبت منظره واستحسنّت مخبره
ادخلته إلى محل الأواني فيخيب سعيه ويعود حزينا كاسف البال
أما إذا لم يعجبها فإنها كانت ترده من غير أن تطلعها على سر الآنية
ولما بلغنى خبرها تشوقت إلى رؤياها وحدثتني نفسى بالحصول
عليها ، فعرضت عليها حسبي ونسبي فالقيت منها عين الرضى وحسن
الالتفات ولكنى استصغرت نفسى لديها ورأيت نفسى قاصراً
عن مضاهات اصحاب النفوذ والغنى والثروة الذين يتقاطرون إلى
خدمتها ومع ذلك لم اقطع الأمل من الفوز بها حيث اتى رأيت

منها اعتناء بأمرى فرجعت إلى هذه البلدة حزينا وأنت محل أملى
ومحط رحالى فمالى لأفراج هذه الغمة ، وقضاء هذه المهمة سواك
وحاجتى الآن بثلاثة آلاف دينار من الأصفر الرنان فان ظفرت
بالدرة اليتيمة أرجعت اليك كافة أموالك وإن حال دون ذلك
سوء طالعى رجعت بالخيبة ورددت لك هذا المبلغ وأبقيت وفاء
الباقى إلى فرصة أخرى .

فأجابه سيدى محمد قائلاً وهل تؤمل بالفوز مع علمك بأن
هذه السيدة لا ترضى من البشر زوجا ؟

سأقرع هذا الباب مستعطيا فان رأيت فيه ملجأ ومأوى
حصلت على غاية المنى وإن حبط مسعاى رضيت من الغنيمة
بالإياب وأرجعت مالك اليك ولا أعود بعد الآن لما تعودته من
التبذير والاسراف .

فقال له: اذهب إذا الى التجار واطلب منهم استلاف ماشئت
من الأموال وأنا اتعهد لهم بدفع المبلغ فى حينه إن تأخرت أنت
عنه فأنا واثق بأنه لا يتأخر أحدهم عن إقراضك هذا القدر إذا
علموا بضمايتى لك فانى عندهم من أعظم الأغنياء .

لا عدمتك أيها الأخ الكريم ، والصديق الحميم وإنى سأعود
اليك حالما يتيسر لى اقراض المال وأبشرك بأنى سأحظى عن
قريب بربة الجمال والكمال فان قلبى يتحدثنى بنجاح مسعاى على

يديك فاطلب لي التوفيق كما أطلب لك الخير واشكرك كل الشكر
قال احمد هذا وخرج فرحا بقضاء حاجته مؤملا الحصول
على منيته .

❦ الفصل الثاني ❦

حقد وموامة ناهون اليهودى

هو رجل من يهود روسيا الصهيونيين سافر إلى طابجة واتخذها
مقرأ لأعماله وكان دميم الخلقة ، دميم الاخلاق سىء السريرة ومع
انه واسع الثروة كثير المال فانه كثير البخل والطمع شديد الحرص
واللاأمة لأم له إلامع المال ، وحشد الذهب قضى أيام شبوبته
وشينه فى الدعوة إلى الصهيونية ، وبث الدسائس والايقاع بعباد
الله ومع ما اتصف به من أخس الصفات فانه كان منفرداً بالدهاء
فريداً بالخدع والمكر قادراً على التزيين بالأزياء المختلفة يتظاهر أمام
جيرانه المسلمين ، والنصارى بالوداد وحب الانسانية ، مع انه
لا يضر إلا الشر ويظهر بصيغة محب الخير والمعروف ، مع انه
لا يكن إلا الغدر وهكذابقى خبثه مستوراً ، وفساده مكتوما فاعتقد
الناس فيه خلاف ما يكن قلبه ولا يعلمون منه إلا أنه مرابى
لايسلف المائة إلا بمائتين ، ولا يعطى الدرهم إلا باثنين ، وهو
يعجب بماله ولا يلتقى المستلفون منه إلا إعراضا وابتعاداً لعلمه
(م - ٢ الصهيونى)

بأنه لا يوجد في المدينة من يضاهيه بالغي ويقدر على تسليف
المبالغ الجسيمة للناس إلا رجل واحد وهو سيدى محمد الجزولى
ولهذا تراه ناقاً عليه يغلى صدره حقداً وقلبه انتقاماً وبغضاً لاسيما
لأن الجزولى المذكور هو على غير دين التلمود^(١) وأنه يقرض
المبالغ الجسيمة لكل طالب بغير فائدة أو ربح فلذلك يمنعهم
من الوقوع في مخالفه والاستجارة بحوره وظلمه ، حتى عقد النية
على الايقاع به ، وحلف بآبائه وأجداده بأنه سيقصص منه وينشب
فيه مخالب غدره فيبليه أولاً بالافلاس والخراب ، ثم يأكل لحمه
ويشرب دمه وجعل يفكر في حيلة لبلوغ القصد والفوز بالمنى
حتى ضاقت به المذاهب واعيته الحيل وعلم من نفسه العجز عن
أذى هذا المحسن نظراً لما له من منعة الجانب بين الناس ، وعلو
المكانة في قلوب الاعيان فأضحى كاسف البال عليه دلائل اليأس
وقطع الرجاء حتى ضنى جسده ونحل جسمه وغارت عيناه وأصبح
في حالة من الضعف محزنة .

وكان لناهون اليهودى هذا ابنة في ريعان الصبي لا تتجاوز
الثامنة عشرة من العمر واسمها إستر ليس لأبيها سواها وهي

(١) التلمود : عبارة عن مختصر مبادئهم الدينية وعنوان سلوكهم
المدنى . فهو يبيح لهم ما يميلون إليه ويشجعهم على استطراد خطتهم
المزرية وهو من وضع الجمعية السرية اليهودية بروسيا واورشليم .

قائقة الجمال زائدة الدلال ذات طرف كحيل وخد أسيل ، وخصر نحيل ، لطيفة المعشر ترمي بعينها السوداء بين القلوب ، وتبلى ناظرها بيلاء أيوب وهي مع صغر سنها وغضاضة صباها كثيرة المادة في الحيل كثيرة الويل في الخداع ، قادرة في الدهاء والتقلب والمراوغة وبالاختصار هي أشبه الناس بأبيها . وكان يستشيرها في المهمات ويرجع إليها في الملل فكانت تخاطر بنفسها حبا بأبيها فتمده بالحيل وتساعد بهائها على حل المشكلات ولها في عينها وسحر طرفها سلاحا قويا ينصرها كلما شنت الغارة ، فلم ترجع قط بالخيبة والخذلان وإذا رأت بأبيها الحزن والكآبة هذه المرة وألفت منه الضعف والنحول ساءها ذلك ونكد عيشها ولكنها كنت هذا في قلبها منتظرة أن يبوح أبوها بسره إليها .

ولما طال عليها المطال سئمت نفسها الانتظار وقلقت لحالة أبيها إذ رآته سائرا بالضعف والنحول فوطدت النفس على استطلاع الخبر فدخلت عليه يوما في مكتبه الخصوصي الذي يتفرغ فيه لحساب الأموال وصف المئات والآلاف فرآته متفكرا مطرق الرأس لم يع من عظم أفكاره على دخولها إلا حين كلمته قائلة :

حياك يا والدي رب موسى وإبراهيم ، وحصنتك بهارون ، ويهوذا ، وكاليب ، وجيوفافا ، من شر ما انت مفكر . مالي

أراك كاسف البال مشغل البال ، ناحل الجسم بادی الضعف .
 فهل لك حاجة فاقضها وهل تصدى عليك احد فاتقم منه ، أو
 أغضبك فأسفك دمه قل لي بحق إله إسرائيل ما اصل حزنك .
 وسبب همك وغمك فانك تعلم حيي لك ومقدرتي على مساعدتك .
 فأجابها بقوله :

دعني يا إستر افاسى الهم وحدي ، ولا تمنعني النفس في تسليتي
 وتمزيقي فانت غير قادرة هذه المرة على مساعدتي وتخفيف همومي
 ولا فائدة من اطلعك على سرى إلا انشغال بالك واضطراب
 حواسك فابق متعة برغد العيش بعيدة عن نكد هذه الدنيا
 وذوق لذة شربيتك وريمان صباك فاجابته : لا ينهأ لي عيش
 يا والدي ما دمت أراك مضطرب الجأش والحواس ولا بد من
 اطلاعي على حقيقة الخبر وإني أعاهدك ببذل نفسي لتخفيف همك
 وإرجاع راحتك فالويل لمن تسبب في تنكيد عيشك ولا عاش
 من كان أصلا لغمك وهمك . فقال إن كان لا بد من إخبارك
 بسرى فاسمعي يا بنتي واصغى لمقالى فالأمر جلل والحالة خطيرة .
 منذ كررت جيداً ما طالما رددته على سماعتك من افعال هذا العربي
 المجنون العاقى سيدى محمد الجزولى الذى يوزع امواله يمته ويسرة
 ويجود بالذهب الوهاج بغير فائدة أو ربا وكنت اترقب ان تدور
 عليه الدوائر وتعود عليه افعاله بالخسائر وهو لا يزداد إلا غنى

وثروة وبقدرهما جوداً وتبذيراً وترينه محبوا من الجميع نافذ
الكلمة عند الرفيع والوضيع وقد سد على ابواب الأرباح وسارت
أعمال المالية بالتأخير يوماً عن يوم مما يؤدي إلى عدم تنفيذ برنامج
الصهيونية وإسعاد الطائفة اليهودية فقد سئمت نفسى احتمال وطأة
هذا العربى اللعين ووطدت النفس على الفتك به وحلفت بموسى
وهارون إتنى سأنتقم منه . وترينى الآن مضطراً للحنث يمينى
والعود بالخيبة وحبوط المسعى إذ أرى ما هو عليه هذا الجاحد
من الاقتدار والنفوذ وعظم الثروة والغنى . وهذا يحرج قلبى
ويحرق فؤادى ويسبب لى ما انا فيه من الحزن والضعف فما العمل
بهذا الشيطان الذى ضاقت دونه حيلى وعجز عنه فكبرى .

فاطرقت الفتاة برأسها برهة إلى الأرض ثم رفعتة وقد ابتسم
نورها واحمرت عينها فاهتزت هزة الطرب واعجبت اعجاب
المنتصر الخاقد فتعجب ناهون لتلك الإشارات واستبشر بابتسامها
وفرح لاحمرار عينها فطار قلبه شعاعاً وانتصب واقفاً على قدميه
وبغير ان ينتظر جواب ابنته قال لها : قولى يا إستر تكلمى يا بنيتى
ما الذى خطر ببالك وما الذى ارشدك إليه دهائك فقد حيرنى
تغير حالك وبشرنى بالظفر والنصر على عدوى ابتسامك؟ : قالت
نعم : لقد خطر ببالى خاطر وألهمنى إله إسرائيل لو اسطة تضمن
لك الفوز وتخولك الظفر فاسقاط هذا اللعين بين شفتى وخراب

دياره بكلمة منى وإتنى سأجازف بنفى ولا أضن بها عليك لتعلم
إخلاص ابتك لك ورغبتها فى راحتك لا يخفك يا ابنى بأن
الوكيل المتصرف بأموال سيدى محمد الجزولى هو بطرس النصرانى
عدوك الآله وهذا الشاب قد فتنه جمالى ، واحرق قلبه دلالى ،
وقد طالما اراد التودد إلى والاقتراب منى وكان لا يلقى منى إلا
إعراضاً وصدأً وجفاءً ، وذلك لعلنى ان لا فائدة من معاشرته
ولا نفع من اصطفائه لأنه فقير الحال قليل المال ، وتكره نفسه
خيانة مولاه وانتهاك حرمة أما الآن فالذى اعلمه انه سافر إلى
اسبانيا يحمل معظم ثروة مولاه ليشتري بها البضائع ويختار التحف
فلا يتعسر على ان اسافر إليه فأعلمه بالآمال واغريه على الفرار
بالمال إلى بلاد غريبة أو أوقعه فى بلاء عظيم ولو اضطرني ذلك
لتسليم نفسى إليه فيبلى الجزولى بالإفلاس ولا يلبث ان تطالبه
اصحاب الديون وتلعب به ايدى الخراب فيبقى عليك ان تتدبر فى
هلاكه وإعدامه الحياة فتصدق بيمينك وتفوز بمرامك فطار
اللعين فرحاً عند سماعه كلام ابنته واستبشر بقضاء وطره وبلوغ
منيته فأخذته لذة الانتقام ورعشة القاتل فجعل يقبل ابنته تارة
وطوراً يرقص كمن اصابه خلل او جنون وهو يكلم نفسه ويقول :
لقد نلت بغيتى وفزت بوطرى فيا لها يا جزولى من ضربة عليك
قاضية ومصيبة على رأسك ماضية فسأرتاح من شرك إذا خربت

منك الديار ويخلو لي الجؤ بعدك ايها الجاحد الجبار ولاقتلك
بعدها شر قتلة واشرب دمك واطعم لحمك الكلاب .

ثم التفت إلى ابنته وقال : لا عدمتك يا ربة الجمال من محتالة
ماكرة فقد فرجت كرتي وازلت غمتي وخلصتيني من غضب
إسرائيل لو حنثت يميني ، فثلك تكون النساء وإلا فلا ولكن
إن اصابك ضر يا سيدة النساء فكيف اعيش بعدك او يهنأ لي
عيش بعد بعدك نعم إني سأنتقم من ألد اعدائي ولكن سأفقد
أعز الناس لدى فهلا ترجعين عن هذا الرأي وتدبرين حيلة بحيلة
أخرى لإفلاس هذا الملعون تكون أقل خطرا عليك واسهل
لديك . فاجابته : إنه لأمر تفقر دون إدراكه الحيل ، ومهمة
تعجز عنها فحول الرجال وانها لا تخلو من الخطر على ولكن
سيعينني إله إسرائيل وسأرجع إليك منصورا ظافرا واحظى
بالأموال وافوز بالمني . وإني قيد اكتب على نفسي بألا اتزوج إلا
بمهر حصلته بعثائي وتعبي فما انا ذائبة من الآن لإعداد لوازم
السفر فادع لي بالنجاح والتوفيق . فقال : اذهبي مصحوبة بالسلامة
محصنة برب موسى .

تأمل ايها القارىء الكريم هذا الحنو الوالدى ، وهذه الشفقة
الأبوية اللذين حملاه على فوات فلذة كبده ، ووحيدة نسله
وتسليمها إلى أعظم المخاطر واصغرها تعرضها للتهلكة والافتضاح

فأعنى غرضه منه البصر وألماه عن النظر في فظاعة ما يفعل وكل هذا رغبة في الانتقام من رجل لا ذنب له إلا تدينه بغير دين التهود ، ولا عيب فيه سوى السكرم وحسن الخصال وعمل الخير والمعروف فانه إذا رأى واسطة للانتقام وعلم ان في إمكانه الوصول إلى الفتك بهذا الجوى ^(١) ، والتصرف بلحمه ودمه أسكرته خمرة الانتقام فلم يعد يعي على ان دون ذلك هتك حرمة ، وانتهاك عرضه ولربما ضياع حياة وحيدة الناس عنده وأعزهم لديه ... لم يرتعش قلبك لدى التأمل بهذا العمل الوحشي او لم يقشعر جسمك عند هذه القساوة الصخرية فياويلك ايها اليهودي الصهيوني إذا حضرت امام القاضي الديان ، ومثلت لدى الحضرة القدسية لتطالب بما جنته يداك .

الفصل الثالث

خرجت إستر وتركت اباهما وحيدا ثملا بخمرة الغدر، فرحاً بقضاء الوطرف جعل يفكر بالأموال التي سيربحها إن خلا له الجوى، وبالسطوة والنفوذ اللذين سينالهما إن بقي متفردا في البلدة بالغنى عليه المعتمد في المهمات، وإليه المرجع في الملمات فذكره هذا بما كان يسبب له عدوه قبل ذلك من الأضرار وخسارة المال وما قاساه منه من الأهوال

(١) يطلق لفظ جوى على كل إنسان لا يتدين بالديانة اليهودية .

فاتصب على قدميه يرتعد غضبا ويرتعش غيظا وحقداً وجعل
يمشي في أرض الغرفة مرحا وهو يقول: لا . لا . لا . إن هذا لا يكفيني
وهذا الفعل لا يصدق به يميني فإني أقسمت اليمين المغلظة ان ابلية
بالخراب ، واشرب دمه ، واطعم لحمه لوحوش الغاب فلا يهنأ لي
عيش ولا يرضى عليّ جيوفاه إن لم اتدبر بهلاك هذا الملعون
وارمى بنفسه إلى الهاوية التي لا قعر لها ولا زاوية ، ولا بد ان
يأتيني صاغراً مستعطياً فيسأل على الفتك به وإيقاعه بالوبال
ولكن ما الواسطة ؟ اللهم يا إسرائيل وانت يا جيوفاه يا سندنا
المهاب هب إلى قلبي نعمة الحلول واهدني إلى واسطة لإهلاك من
كفر بك وانكر نعمتك ،

نعم صدق القديسون الأبرار لا واسطة اوفق من التودد
لهذا الكافر باليهود ، والنظاير له بالصدقة والمحبة فأدعوه إلى
وأكلفه لمناولة طعامي فأدس له السم واسقيه من يدي كأس
الحمام وإلا انصب له الفخ وأوقعه بمكيدة فأرميه في البئر واخفي
منه الأثر ولكن كل هذا لا يكفي فلم آكل لحمه ولم اشرب من
دمه فيجب ان . . . وفي هذه اللحظة طرق الباب فأنشله من بحر
افتكاره وأوقفه عن نسج حيله فوقف برهة مضطرب الحواس
كنتبه من نوم ثقيل وإذا بالباب يطرق ثانية فرجع إلى نفسه
بالتمام وهرب نحو الباب يستطلع الخبر ولما وقعت عينه على الزائر

اصفر لونه ، وغمز انفه ، ورفع عمامته ، وحك قرعته ، ودمدم
وتتمم ثم قال :

أهلا بالشهم الهام ، ذو الجود والكرم كيف حالك أيها
الصديق ولد التازي ؟ وكيف حال صديقك الحميم واخوك الكريم
الجزولي ذو الفضل العميم ؟ شرفني ومننت علي بما طالما احرمته
منه فادخل على الرحب والسعة والكرامة والدعة . ولما استقر
بهما الجلوس قال : هل لسيدي حاجة فأقضيها او خدمة فاتشرف
بها ؟ لقد جئتكم يانا هون بأمر جلال وحاجة تهمني وتسهل عليك
وهي ان تقرضني ثلاثة آلاف دينار اضف إليها ما ترغبه من
الفوائد والأرباح فأدفع لك الجميع قبل مضي الثلاثة شهور فان
قضيت حاجتي وفرجت كربتي فاني احفظ لك معروفك ما عشت
واشكرك ما حييت . فأجابه :

أهلا بك ومرحبا فاني اقدم لك ما شئت ولاي ميعاد رغبت
ولسكن لي في معاملتي شرط ارتاح إليه وقانون ارجع في السلفات
إليه وذلك اني لا اسلف مالا بغير رهن او ضمانه فهل عندك
ما ترهنه ، او لديك ضامن مقتدر على دفع المال ان تأخرت عن
دفعه أنت ؟

لدى اعظم ضامن وأكبر ثقة ألا وهو صاحبي الودود
سيدي محمد الجزولي صاحب الثروة الواسعة والمال الكثير .

فحك اليهودى فى رأسه وانكشئت اعصاب وجهه ثم تغير لونه ،
واحمرت عيناه وسحق أسنانه وتغيرت جميع حواسه وبعد ذلك .
تهلل وجهه بالفرح وبانت لوائح الاضطراب على وجهه مذ بانت
نواجذه ابتساما والتازى ينظر إليه ظانا انه يقدر الفوائد ويحسب
القروش والبارات إلى ان قال : إتنى راض بضمانه صديقك
وصديقى سيدى محمد الجزولى وقابل بتعهده وترانى مستعداً
لإسلافك ما تطلب على ان تخبره بانى رضيت به ضامنا وتسأله
المجىء إلى فى الحال لكتابة الشروط وقضاء الأمر فواجهته لازمة
لازبة . فأجابه : اشكرك يا ناهون على معروفك واهتمامك برد
لهفة ملهوف ولكن هل لك ان تأتى برفقتى إليه فنناول الطعام
معا ونقضى الأمر هناك ؟ فقال ناهون : لا وحق إسرائيل إتنى
أعاشركم يا معشر المسلمين واعاملكم وانقدكم المال بالربا واما زجكم
ولكنى لا آكل لكم طعاما تصنعونه بأيديكم الدنسة فكيف بى
وقد اكلت جديا مطبوخا بلبن امه ، ولحم ضأن بعروقة ، فإننا
لا نأكل السمن ، ولا نذوق اللحم إلا الكاشير نخل عنك هذا
الكلام واسرع باحضار صاحبك والسلام .

ولما خلا بناهون المكان جعل يمشى فى ارض الغرفة بسرعة
كلية مطرق الرأس مقطب الوجه ثم وقف بغتة وقال : اما كنى
إتنى ضحيت ابنتى وحرمتى ومننت باعز الأشياء عندى للانتقام .

من هذا الجوى ، حتى اخاطر ايضا بالمال وابذل المبالغ الجسيمة
 لأفوز بفرضى واصدق يمينى؟ ولكن ما الذى يضرنى إن
 ضحيت بثلاثة آلاف دينار لأرضى بذلك إله إسرائيل وافعل
 ما امرنى به التلمود فاسفك دم عدوه وعدو الدين الاسرائيلى
 واكون بهذه الوسطة امينا من الخطر وصرامة القانون . فنعم
 الصدقة وحذا التوفيق فلا شك بأن هذا قد ساقه إلى عزرائيل
 ليجعلنى فى مأمن من وخامة العاقبة والمصير . فها عدوى الأ كبر
 قد أتى صاغراً يرجونى قضاء حاجته فلعن الله جنسى وسببى إن
 كنت لا اقتص منه ، ومسح الله وجهى إن رحمته فا الرحمة شأنى
 ولا الشفقة من اخلاقى فتلك اوهام يعدونها هزلأء الأندال فضيلة
 أما انا فعندى الإيقاع بمن لا يؤمن بدينى أعظم فضيلة لدى .
 وبعد برهة وجيزة عاد التازى إلى منزل ناهون وبصحبه
 الجزولى فهش لهما اليهودى وبش ولما استقر بهما الجلوس قال
 ناهون للجزولى :

— إنى أجزل الشكر لإله إسرائيل حيث انه وفق لى
 خدمتك التى طالما تمنيتها . فلو احتاج صاحبك جميع ثروتى لما
 بخلت بها عليه إكراما لخاطرك . فأجابه الجزولى بقوله : اشكرك
 على اهتمامك هذا وجل ما ارغبه سرعة دفع المال إلى صديق
 لا يضطراره إليه وأنت تعلم بأننى لولا ذلك لما أتيت إليك لأننى

لا أحب الربا . فقال اليهودى : وهل أخالف بهذا الفعل خطة
إسرائيل ويعقوب بن إسحاق فقال له الجزولى : ويلك وهل كان
يعقوب يسلف الأموال بالربا : فأجابه بقوله :

لا ولكن كان يسعى وراء الفائدة أفلا تذكر يا هذا أنه
عند ما اتفق مع خاله لابان على قسمة الخراف وأخذ المخطط
منها احتال على تكثير المخططة فربح بطريقته هذه ولا لوم ولا
حرج . وقل لى بحقك ما فائدة المال إذا لم يجر المال ، فالحرص
فى الانسان فضيلة وقد قيل الإسراف من الإنصاف . فأجابه
الجزولى يا ناهون :

إنك تتخذ هذا دليلا على تحليل المحرم وليس ذلك بدليل
ولكن الشيطان الخناس لا يعسر عليه إيجاد آية مشكلة فى الكتب
المنزلة ليفسرها بحسب عقله السخيف وامياله الفاسدة ولكن
ما لنا ولهذا الآن فانه لنا مسألة القرض .

فكاد اليهودى يتميز من الغيظ ويغنى عليه من شدة الخلق .
ولكن تمالك نفسه وقال : طالما غيرتنى يا جزولى بين القوم
بخصالى وأعمالى فاحتملت ذلك بالصبر والصبر فى أمتى فضيلة ،
وبصقت فى وجهى مرة وأوسعتنى شتيا وإهانة لأنى على غير
دينك فسكت ، والسكوت فى وقته فىنا خصوصية محمودة وقد
جئت إلى هذه المرة تطلب عوفى وإسمافى وما زلت تهنئنى

وتحتقرني فهل تنتظر إن أفرج كربك الآن جزاءاً على حسن صنيعك معي وإحسانك المتوالى علي .

فاجابه الجزولي : إني لم آتتك متذللاً ، ولم اطلب منك لداعي حب او صداقة فاسلفني المال وانت عالم بأنى عدوك حتى إذا تأخر صديقي عن وفاء دينك في حينه ولم ادفعه انا لك الحق باجراء العدالة والقانون .

ولما رأى ناهون أن الحدة استولت على الجزولي رجع إلى نفسه باللوم وعهد إلى مكره المعتاد فقال :

لا تأخذك الحدة ايها الفاضل ولا تظن بأنى قصدت بكلامي هذا مس إحساسك كلا بل اعلم إني راغب بمصافاتك مبالغاً لمولاتك وإني عربوناً لصداقتي ، ورهناً لمودتي ساقدم لك الثلاثة آلاف دينار بلا فائدة ولا ربحي ولا أكلفك انت وصديقك إلا بوفائها بعد ثلاثة اشهر بحسب الاتفاق . فقال له :

اشكرك على حسن صنيعك ولكن لا أريد ان اكلفك بما لم تعتاده فافرض علينا ما شئت من الفائدة . فاجاب :

لا وإله إسرائيل لا آخذ عليها ربها ولا فائدة ولا ابتغى إلا مصافاتكم ومودتكم ولكن إن كان لا بد من فرض الفائدة غرضت عليك شيئاً آخر فأجابه :

اطلب ما تريد وثق بأنى شاكر لفصلك . فاجابه :

إننى وعمر الحقيقة لا ابتغى عن صداقتك بديلا ففى عندى
خير فائدة واعظم ربح ولكن مادمت مصمما على فرض الفائدة
فلنشرط على سبيل المزاح شرطا يضحك الثكلان : وهو ان لم
تنى المال بعد ثلاثة اشهر وفى مثل هذه الساعة آخذ من جسمك
رطلا من اللحم من أى محل شئت . فاقبل بهذا الشرط الفاسد
ودع الأمر ينتهى بالمزاح . فاجاب الجزولى :

انى قبلت والمروؤة بشرطك فهىء الشروط لاختمها وانى
اصفك من هذه الساعة بالركة والمعروف . فقال السيد التازى
لصاحبه قسما بالله لا ادعك تقبل بمثل هذا الشرط الفظيع واعلم
بأن الفاقة عندى احسن من إيقاعك فى مثل هذه الورطة فأجابه :
كن مطمئن فأنا واثق بأنه سيأتينى اضعاف هذا المبلغ قبل
فوات المدة المعهودة بكثير .

قالى اليهودى : يا إله ابراهيم وإسحاق ويعقوب نجنى من
شر اردياء السريرة الذين يظنون فى السوء وفساد الطوية ، فاخبرنى
بحقك أيها الفاضل بما تظن وبما تخشى وما الذى يخامر ظنك من
مزاخى هذا أوهب أن الصحيح ما اقول واخذت رطل اللحم من
جسم هذا الشهم الفاضل إذا تأخرتما عن الدفع فما الذى ينفعنى ،
وبما استعيض عن خسارة مالى ، أبا لرطل اللحم الذى لا يساوى
لحم الماعز والغنم ؟ أو هل سمعتما بأن صديقكما ناهون يأكل لحم

البشر حتى ظننتم مزاحي هذا قساوة وظلما ؟ فان كان ذلك
ما تظنون فارجوكم أن لا تسالوني بعد هذا مالا ، ولا تقبلوا مني
معروفا وغضوا الطرف عما اظهرته لكم من الود والولاء .
فسأمت نفس الجزولي من كثرة الانتظار ، ولم يحتاج ظنه قط
لسلامة نيته بان اليهودي قد كذب ولا يقصد بشرطه إلا الانتقام
منه وانتزاف دمه فقال : قلت لك يا ناهون اني قابل بالشرط ،
فاقض ما أنت قاض لان الوقت قد فات فتناول اليهودي قرطاسا
وقلها وجعل يرسم الشروط وكان التآذي يقول لصاحبه انه خائف
من أن يكون ذلك مكيدة نصبها اليهودي لها ليتقم من الجزولي
لعداوته له وانه مستغرب من الشرط وتحدثه نفسه بوقوع الشر ،
والجزولي يضحك من تشاءمه وينسب ظنه للاوهام التي لا طائل
تحتها ويؤكد له أنه واثق بالحصول على اضعاف هذا المبلغ قبل مضي
المدة حتى انتهى اليهودي من تحرير الشروط فوقعوا عليها جميعا
ثم اخذ المال وذهب مع صاحبه وترك اليهودي يضرب أخماسا
لأسداس .

الفصل الرابع

علم القراء بأن لسيدى محمد الجزولى وكيل أسمة بطرس كان هذا الشاب حميد الخصال ، حسن السيرة ، دمث الاخلاق لطيف المعشر وكان مع ذلك ذا مروءة وشهامة شريف النفس امينا صادقا تأبى نفسه الخداع والخيانة ، حتى صار له فى قلب سيده منزلة عظيمة فسلمه جميع أمواله وحكمه فى ثروته وأعماله ، وكان يتنبه فى المهمات ويستشير له عقله فى الملأ وهزم مع ذلك لا يزداد إلا صداقا وأمانة وقياما على العهد .

فجعل انه رأى يوما إستر ابنة ناهون اليهودى نخلت له وسلبت عقله فسحره لطفها وجمالها واسره ظرفها ودلالها وقد طال به الحب وازداد به الهوى حتى أضعفه واحرمه لذى الرقاد ، وعوضه عنه الأرق والسهاد . فجعل يتقرب إلى الغادة بالزلفى ويسعى لديها بالتذلل فاصغت إليه بادية بدء وسمعت شكواه ولم تقطع له رجاء ولكنها صدته اخيرا وجفته اذ علمت انه قليل المال ضيق الربح ، فزاده صدها ولها ، وبعدها عشقا وتلفا فكلما أراد التقرب إليها رأى منها نفورا ، أو كتب إليها بشكوى يبت لواعج غرامه لقي اعراضا وتغاضيا حتى زادتة الأحزان ، وهجمت عليه الأشجان فضاقت فى وجهه المذاهب ، وسلم لقضاء الله (م - ٣ الصيوني)

ورأى منه مولاه هزالا ، ونحولا وحزنا وكآبة فساء ذلك لانه
كان يحبه لأمانته ، وصدق خدمته واستطلع منه السبب فانكره
عليه ، وقصد تسليته وتعزيته فلم يجده ذلك نفعا حتى تأكد أن
بقلبه جرحا صعب البرىء ، وداء بعيد الشفاء فلم ير أوفق من
إرساله إلى الخارج بمهمة يقضيها فليهبه العمل عن الاشتغال بهم
وتسليه لذة التنقل عن تذكر مصابه فتنتعش روحه بهواء البلدان
وينشرح صدره باختلاف المناظر فاستدعاه ذات يوم وقال له :
لا يخفأك يا بطرس أن البضائع قد فرغت لدينا ، وتكاثرت
طلباتها علينا وقد أصبح عندنا كثير من المال وليس من الانصاف
ان نبقيه مليء الخزان بغير فائدة ولا ربح ، ثم أن مراكبنا راسية
في مياه طانجة تكلفنا التكاليف الباهظة ، ولا يعود علينا منها اقل
ده فمن رأى أن نرسلها لوسق البضائع ، وتحميل السلع غير
انى احب ان استحضر فى هذه المرة تحفا لا تعرف فى بلدتنا من
التي انتجتها معامل اوروبا العجيبة واختراعاتها الجديدة وهذه مهمة
لا أرى لها غيرك ولا اعتمد فيها إلا عليك نظرا لما اعده بك
من المهمة العليا والذكاء والذوق السليم فما ترى فيما اقول ؟

فأجابه بطرس : لقد رأيت الصواب فمرنى بالذى تريد فانى
اقرب إلى طاعتك من جبل الوريد . فقال الجزولى : اننى اشكر
لا نقيادك لأمرى فاحمل إذا جميع الأموال التي فى الخزينة واذهب

بالسفن إلى اسبانيا وامكث فيها زمنا اتخير فيه من البضائع أحسنها
ومن التحف أجملها مما لا نظير له في هذه البلاد لتكون العودة
غائمة ، والتجرة رابحة ، وعليك بأن تمكث زمنا ولا تسرع
بالسفر منها لئلا يمكنك نظر كل شيء ، والاطلاع على كل جديد
لكن حضورك واجب بعد ثلاثة اشهر لمطالب لا تجهلها اما
الآن فقم لإعداد المهمات وتبها للسفر .

فخرج بطرس من حضرة سيده ممثلا لارادته ، فأعد المعدات
واللوازم وسافر بالمراكب في اليوم الرابع متأسفا على مفارقتها
البلاد التي فيها قلبه ولبه ثم صعد إلى أعلى المركب وجعل ينظر
إلى تلك البلاد التي فارقها ، والأطلال التي نأى عنها ، يتنسم هواها
ويستنشق عبير نسيمها حتى توارت عن عينه واستترت بالافق
عنه فانفرد في السفينة بعيدا عن الربان والنوتين ، وضج بالبكاء
والعويل ، وزاد في الحسرات والزفرات حتى نصبت دمعته ، وخفت
صوته ، فوقع على فراشه بدون حراك ، وقد خمدت انفاسه
واغمى عليه . ولم يع على نفسه إلا بعد الأصيل فصعد إلى أعلى
المركب يطلب بنظر البحر تسليته ونسيمه انتعاشا فوجد فيها
بعض الراحة لقلبه وبعض النسلية على همه هذا والريح معتدل
والسفن سائرة تحملها الرياح ، وتدفعها الأمواج ، في الليل والنهار
حتى وصلت بهم سواحل اسبانيا فرموا في ميناء فالانس المراسي

وأنزلوا الشراع ونام بطرس فيها ليرتاح من عناء السفر وضعف
 السهاد ، ولما نشرت الغزاة شعاعها نزل يوسف المدينة وبعد أن
 تفرج على مناظرها العجيبة ، وبدائعها المدهشة وتنقل في طرقاتها
 وشوارعها خرج لتسليه النفس في ضواحيها ، وترويحها في
 رياضها ومنتزهاتها حتى مالت الشمس إلى الغروب فرجع إلى
 المدينة وافضى به الترحال إلى فندق مشيد هناك فدخله واختار
 غرفة للسكن وبعد أن تناول فيه العشاء مع مجمع من الناس دخلوا
 جميعا لقاعة الجلوس فقطعوا وقتا بالمسامرة ، والحديث ثم ارفض
 المجلس فعمد بطرس إلى غرفة وهناك تحركت عليه الجروح
 وكرت عليه الشجون فتذكر بعده عن المحبوب وما قاساه من الم
 الجفا وتجرحه مرارة الفراق فتنهد الحسرات واسال دمه على
 الوجنات فأزال بكاه عن قلبه بعض الحزن ، وهجم عليه سلطان
 الرقاد فتغلب عليه ونام إلى الصباح . ولما بدد الفجر جيوش
 الظلام نهض من مرقدته منكسر القلب كليم الفؤاد ، ولكنه تصبر
 وتجملد وخرج إلى المركب واستحضر منه الأموال والمهمات التي
 تلزمه مدة إقامته في تلك البلاد واخذ بعدها يزور المعامل ويبيت
 التجارة ، ويتفرج على المصنوعات والتحف وفي المساء عاد إلى
 المنزل وظل على هذه الحالة عشرون يوما بلياليها فتاقت نفسه
 لتوغل في تلك البلاد الجميلة فركب أجنحة البخار قاصدا مدينة

(مدرید) عاصمة بلاد الاسبان فنزل في افخم فنادقها وبعد أن
تفرج على المدينة وعرف شوارعها وطرقها ومدخلها ومخرجها
جعل يزور المعامل ويختار البضائع كما فعل في ميناء (فالانس)
مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج من النزل على حسب عادته
وعاد إليه عند منتصف النهار لمناولة الغذاء فينما هو على المائدة
حانت منه التفتاة إلى الجانب الآخر فرأى فتاة وإلى جانبها رجل
معتوسط السن تسامره وتمازحه وهما يضحكان بصوت عال لفت
إليهما الأنظار . فللحال ارتعشت يد بطرس ووقعت آلة الطعام
من يده واصفر لونه وشخصت عيناة بالفتاة وجليساها ، ولم يزل
كذلك مضطرب الجأش منزعج الحواس وهو مع ذلك لا يبدى
حراكا ، ولا ينبث بينت شفة كأنه اصاب اعضاءه الشلل ،
ولسانه الخرس مدة دقائق خمس . أخيراً رجع إلى نفسه فتحركت
يداه ، ونظر ذات اليمين وذات الشمال ثم حقق النظر في الفتاة
فصاح صيحة ، استوقفت الأبصار ، واستلقت الأسماع ووقع
إلى الأرض مغشيا عليه ، فاضطرب الجمع لوقوعه وحمله اصحاب
الفندق إلى غرفته ، وتبعهم بعض الزوار فاعتسوا جميعا بأمره إلى
أن أفاق إلى نفسه ، فالتفت يمنة ويسرة ، ونظر بين الحاضرين
كأنه يفتش عن شخص ينتظره أو إنسان يترقبه ، ثم نظر إلى
نفسه نظرة الخجل وطلب عن حوله العفو على ما كلفهم من العناء

وشكرهم على اعتنائهم بأمره ثم طلب منهم العزلة والانفراد
 فأخلاؤه الجو، وكل منهم مشغل بأمره متحدث بصره ولما
 نجلا به المكان جعل يمشى في أرض الغرفة ذهابا وإيابا، منكس
 الرأس مضطرب الحواس وهو يقول : هل انا في أضغاث أحلام؟
 وهل الذى رأيتها تغازل الرجل وتسامره هى إستر . أم أرتنى
 عيني غير الحقيقة وتلك فتاة شبيهة لها . . . لا : لا : إني لاشك
 فى ضلال مبين وما الذى يأتى باستر إلى هذه البلاد وقد فارقها
 فى (طانجة) وترك روحى عندها ، وكيف يسمع لها أبوها
 بالسفر وهى وحيدته وسلوته لا عيشة له إلا بها ولا عمل إلا
 برأيها . . . نعم هى هى بنفسها فلم تر عيني إلا هى ، ولم يقع
 نظرى على سواها وكيف أجد لها شبيها وهى فريدة عصرها ،
 وكيف اشتبه فى معرفتها وصورتها مرسومة فى فؤادى منقوشة
 على صفحات قلبى . . . فلا بد ان اتحقق الأمر وأطلع على حقيقة
 الخبر ولا يمكنى البقاء فى هذه الحالة القاسية وانا معلق بين الأرض
 والسماء متقلب على جمر الغضا فيا سعادتى إن لم يحب ظنى ،
 ويأفر حتى إن تحقق أملى . فقام من فوره وأصلح هندامه ، ونزل
 إلى صالون الفندق حيث يجلس الزوار ولكن لم تطاوعه نفسه
 على الدخول إليه فأرسل فيه رائد طرفه من الخارج وحقق النظر
 فى الجلوس فلم يجد غادته بينهم فتحير فى أمره وجعل يفكر فى

كيفية استقصاء الخبر عنها فخطر في باله أن يسأل صاحب النزل
 عن تلك الفتاة الحسنة ولكنه خاف أن يطلع القوم على سره
 ويعلموا أنها سبب اضطرابه فأحجم لهذا القصد عن السؤال ورأى
 الأوفق أن يطلع على سجل هناك يكتب فيه أسماء الواردين
 للفندق في كل يوم . ولم يكد ينظر في السجل حتى ارتد مذعورا
 مجفلا وقد تفرغرت عيناه بدموع الفرح ، والسرور على وجهه
 قد طمع ، ولكنه تمالك نفسه للحال خوفا من تحويل الأنظار
 إليه وعمد إلى غرفته فاخلى بها وأطلق لدموعه العنان فسالت
 مدرارا ، واعطى لقلبه السرور فجعل يرقص كمن أصابه جنون
 ولكنه لم يلبث أن تغيرت أحواله وبذل فرحه بالسكابة وسروره
 بالحزن فارتقى على كرسي وهو منكس الرأس مضطرب الحواس
 وبعد أن افكر قليلا تصاعدت منه الزفرات ، وسالت العبرات
 ثم انتصب على قدميه وقد كفكف دمه وملك نفسه وجعل يقول
 ما الذي أتى باستر الى هذا المكان وكيف نزلت في هذا الفندق
 مع كثرة الفنادق وانتشارها في انحاء المدينة ، أهل لأجل قد
 رحلت عن بلادها ونأت عن ايها وعرضت نفسها للخاطر
 حتى اذا وصلت الى ميناء (فالانس) علمت منها اني بارحتها
 اقصد العاصمة فتبعني واهتدت هنا لمحل نزولي . . . آه . آه .
 اني لا شك مجنون قد ذهبت بعقلي الأحزان والشجون فكيف

ترحل عن بلادها لأجل وقد جفتني إذ كنت بجانبها ، وصدتني
 ونفرت مني إذ كنت اتقرب اليها ، فهي لا تحبني ولا تميل إلى
 والسماء اقرب من قلبها إلى فما تلك الا اغناك احلام ، وتخيلات
 واوهام يزينها لي الأمل ، ويظهرها لي الغرام فقد انت هذه البلاد
 لحمة اناطها بها ابوها وقد نزلت في هذا الفندق كما نزلت فيه أنا
 ولا وجه هنا للاستغراب ولا سبيل للتعجب . . . فعلى ان ابعد
 عن بالي هذه الأوهام ولا اشتغل بالأحلام . . . ولكن كيف
 اسلوها وهي بجاني وكيف ابعد صيررتها عني وهي منقوشة على
 صفحات قلبي وكيف اعرض عن رؤياها وطيفها لا يفرب عن
 عيني وهل يجوز لي بأن اتسلى عن هواها وقد كرمت لها نفسي
 واهتم بابعاد غوامها عني وقد اوقفت له قلبي . . . فتحكمي بقلبي
 يا ربة الجمال فهو ملكك ، وعذبي فإدى يا فاتنة اللحظ فهو أسيرك
 وافعلي ما شئت فانا عبدك فلا ضحين بالنفس في مناك ، واموتن
 بهواك . ولا بد لي من بذل الجهد من التقرب اليها ، فلعل قلبها
 يلين بعد الشدة ، ويرحم بعد القسوة فأرى منها التفاتا بعد الاعراض
 وصلة بعد الصد والهجر فيكون الله قد ساقها إلى هنا لأجل خلاص
 ومن بها على لراحتي وسعادتي ولكن يجب على التأنى والصبر
 فالعجلة تورث الندامة والأسف .

فهم القراء بلا شك بأن التي رآها بطرس وسببت له الاضطراب

وانزعاج الحواس كانت ابنة ناهون اليهودى . نعم انها هى نفسها
فانها بعد ان خرجت من حضرة ابيها ذهبت فبيات نفسها للرحيل
وسافرت فى ثاى الايام قاصدة فالانس ولما وصلت اليها علمت
من السفن الراسية فى مياهها ان بطرس سافر منها منذ يومين إلى
مدريد واقتفت اثره دون ان تضع وقتا وهناك اتصلت بواسطة
أحد خدمة السكة الحديدية إلى معرفة الفندق الذى اختاره فاتخذت
فيه غرفة إلى الجانب الايمن من غرفته ومكثت تترقب مجيئه حتى
أتى للغداء وجلس إلى الجانب الايمن من المائدة فقرحت بقدمه
ووثقت من نفسها الاستيلاء عليه فجلست تجاهه الى الجانب .
الآخر ليراها اذا ما حانت منه التفاته ولما رآته مطرق الرأس
لا يلتفت إلى أحد من شدة الافتكار علمت بأنها هى سبب همه
وموضوع فكرته فازدهت بنفسها واعجبت واستولى عليها الفرح
وظهرت بين عينيها هزة الانتقام وعلام النصر فقالت فى نفسها
لم يزل حبي شاغلا منه الفؤاد ، وغرامى محرقا منه القلب ، وانعم
بذلك من سلاح يخوانى عليه النصر ويسهل على السكره فقد أزف
وقت الحرب والصدام فلا قيمتها يا بطرس عليك عرانا واذيقك
من مكربى واحتياى الوانا ثم انها جعلت تشاغل رجلا بجانبها
فسحرتة بسحر يانها ، وأسرت له بدلا لها ، ثم صادته بسهام
لحظيها ، واحرقت قلبه بنار خديها ، فتركته قتيلا بين يديها ثم

ابتسمت له فأحيت فؤاده ، وبشت في وجهه ، فأنشراح صدره ،
ومازحته فعلا ضحكه ، وهي لا تقصد من ذلك إلا تنبيه بطرس
إليها واصلاء قلبه بنار الغيرة عليها حتى حصل ما كانت ترقبه ،
ورأت شدة تأثير الكرة الأولى عليه فطار قلبها من الفرح
وتأكد لديها النصر والظفر . ولما حمل بطرس إلى غرفته صعدت
هي أيضا إلى غرفتها التي بجانبها لتتقرب حركاته وما يصدر عنه .
ولما أفاق على نفسه بعد الانغماء سمعته يتأوه ويتحسر ويبكي
ويتذمر فسرت هي وتهللت وهنأت نفسها بالظفر وأعجبت بنفسها
مزدهوة كأنها تقول له لم تر بعد إلا طليعة جيوش مكري ،
وبعض مكائدي وغدري فلا ذيقنك ضروب العذاب ، واطعم
لحمك للكلاب ، أما صاحبنا فانه بقي يتقرب الفرصة لبث لواعج
غرامه وينتظر سنوح الزمن الذي به يتقرب إليها ويكسب رضاها
وهو تمل بخمرة الحب ، آمن من صروف الزمن فكان يراها كل
يوم على المائدة فيشغله رؤياها عن الأكل وهي مشغلة عنه
بمباشرة الرجل الأسباب ومسامرته فيلتهب قلبه غيرة ويضطرم
فؤاده حسدا ونقا ويتقرب خروجها من مائدة الطعام فيراها قد
أخذت بذراع الشاب المذكور وخرجا من الفندق فيتبعهما مستترا
ولكن لا يخفى على اللعينة أمره فتزيد في ضلالها وتضاعف من
تزاها وتلويها ورفيقها يزداد فيها ولها ، وبهواها جنونا فيطفح

على وجه الغرام ، ويحسب نفسه في منام فيموت صاحبنا كمدا ،
وينطفح صدره حقداً وغضباً ، فيتمنى الوصول إليهما ليفتك بذاك
المعتدى على حقوقه ، ويحل محله في ذاك النعيم الأرضي ولكن
إذ يرى نفسه عاجزاً ، قتيل اللحظة وأسير الهوى ، وليس من
يطلق سراحه فيبلغ مناه يكتفى من الحبيب برؤيا ليل شعره المسدول
وثقل ردفه المتماوج ، ويقتصر عن التمتع به على تقبيل آثار رجله
اللطيفتين ، هذا وهو ذاهل العقل ، ذاهب الإحساس يمشى في
الطريق كالمهلوف ، لا يعي على ما أمامه ولا يحيد إلا عما يحجب
عنه خيال من جذب عقله ، وسلب لبه ، حتى إذا رجعا إلى الفندق
رأى نفسه بجانبهما وهو لا يعلم ما يفعله ولا يعرف ما يرى ،
وكان إذا أذف وقت المنام وحجبت جدران الغرفة سنا الحبيب
عن عينه يجلس على عتبة الباب ويحي سواد الليل بالبكاء والنحيب
والتهند والشهيق ، وهي تسمعه وتطرب وتتأمل بحاله وتتعجب
ولا تزيد في الغد إلا إعراضاً وجفاءً ، ولا توليه إلا تجنباً
وتفاضياً ولم يمض عليه في تلك الحال بضعة أيام حتى هزل جسمه
بالانحراف وادركت روحه التراق والأطباء لا يعلبون له داء
ولا يجدون له دواء حتى يشوا من شفاؤه ، ومكثوا يترقبون حلول
أجله وتلاشى جسمه .

أما أسر اللعينة فأنها كانت تنسم كل يوم أخباره حتى عالت

أخيراً مصيره إلى حالة الخطر وقطع الرجاء ، فندمت على تفريطها
 بالرجل إلى هذا الحد لأنها لم تقصد باعراضها عنه وتظاهرها
 بالنفور منه إلا لتملكه بالأكثر وتقييده بهواها فلا يعود له من
 يدها مناص إذا ما اظهرت له الميل وظهرت امامه بالحجة ، اما
 الآن وقد افضى الى الخطر وسيقضى عليه ويندو كأنه لم يكن
 فيذهب تعبها أدراج الرياح ، وترجع بالخيبة والخذلان لأنها
 ما جاءت إلا لتدبر بافلاس سيدي محمد الجزولي إذا ما أغرت
 وكيه على خيائه او سلب المال الذي يحمله هذا بالاحتيال فتربح
 المال الذي كانت كسبته لو احسنت التدبير وإن اساءته بليت هي
 مع ايها بالخسارة وسوء المصير ، وقد افسكت بجميع هذا
 وسبب لها القلق وانشغال البال وعليه رأت بأن تصلح ما افسدته
 وترجع ماضيته وما ذاك إلا إرجاع بطرس إلى قيد الحياة وهذا
 سهل لديها ، لأن بها كان مماته ، وبها ستكون حياته فشمرت
 للحال عن ساعد الجد وترقبت خروج الأطباء من عنده ولم يبق
 بجانبه أحد فدخلت الى غرفته واقتربت من سرير ولكنها لم
 تكد تنظر الى وجه المنكود الحظ الا وارتدت الى الخلف
 مذعورة ترتعد فرقا من عاقبة ما جنته يداها ، واكاد اقول بأنها
 تأثرت لحاله لو لم اعرف ان اليهود لا يعرفون للتأثير اسما ولا
 للشعائر الانسانية معنى ، وانما توجد فيهم تلك الشعائر التي نقشها

في قلبهم التلود ، وتوارثوها خلفا عن سلف ، ألا وهي الخنود
على كل عباد الله والالتقام بمن خرج عن دين التلود او الفتك
بمن يكسبهم قتله المال فالى هذه الحالة وصل المسكين اى الى حالة
يرثي لها اليهودى فخافت اسر لهذا من الوقوع فيما كانت تخشاه
ولكنها تجلدت واظهرت الثبات واقربت من سرير العليل وقالت
بصوتها الرخيم كأنها تكلم احدا : - كيف حالة المريض ، وما
يقول الأطباء فى شأنه ، وهل حاله سائرة بالتحسن او بالعكس ؟
فتحرك المريض عند سماع هذا الصوت وتنفس الصعداء ثم فتح
عيناه واجال نظره فى الغرفة حتى وقع على اسر فاطاله فيها مدة
وبعد ذلك ابتسم ثغره وغمضت عيناه ورجع الى الغيبوبة . فلما
رأت انتعاش المريض لصوتها فرحت وعادت الكرة فقالت
بصوت يخالجه الدلال ويدخله التزاهى ، لا شك انهم يحكمون
بوجرده فى حالة الخطر ، فهذا ظاهر عليه ولولا وجود نفسه
الضعيف لحكم من رآه بأنه اصبح من سكان القبور ، فهذه المرة
كانت الكرة أعظم والصدمة أقوى دفعت المريض الانتصاب
على فراشه ، ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال ، وادقف نظره
على اسر ولم يغمض عينيه وانكسر رأسه وجعل يشير يديه
كأنه يرغب ابعاد خيال تجلى له او إزالة تذكر طرأ عليه وهو
يقول : اذهب عني ايها الخيال الكاذب فما كنت لتخدعني الاوهام

بعد هذا ومن أين لي أن يزورني الحبيب وأراه بقربي وقد حكم
على يبعده وحتم على جماه وصده . ثم ضحك كمن يهزأ بنفسه
وانطرح بعدها على الفراش ورجع إلى الغيوبة فلو كان في
الحجر احساس لتصدع ، أو في الجدران لتشققت حزنا لهذا
المنظر المؤثر واسفا على ذبول زهرة هذا الشباب الغض التي
وطأتها أرجل العدوان ، وكادت تضحى في سبيل الضغائن
والإحقاد . فأى وقع كان لهذا المشهد في قلب هذه اللعينة نتيجة
نظفة أبها الخناس ومثال تربيته . انها ستهلك فرحا ، واهتزت
طربا لهذا المشهد المصدع ، ولم تفتكر منه الا انها هي كانت اصله
وسيه ، وهذا يخولها النصر ويضمن لها الظفر .

يا ويلكم أيها اليهود من شر ما تعملون ثم استعدت للصدام
وانتقنت سلاح المسكر وانطرحت على ركبتيها امام سرير العليل
وهي تقول :

بطرس حبيبي أنا هي استر بنفسى فلم تر إلا الحقيقة فارحمنى
واشفق على وقل لى بانك عفرت عنى وغفرت لى خطيئتى وعدنى
بانك تعيش لى وفى وتمتعنى بحياتك وقربك وإلا فإننى اموت
لأجلك لا محالة فلا حياة لى بعدك ولا راحة إلا بقربك .
فانتصب بطرس جالسا عند اول كلمة وهو يرتعد ويضطرب
فنظر إليها نظرة ذاهل العقل ذاهب اللب وهو لا يصدق ما يرى

ولا يثق بما يسمع ولما انتهت اللعينة من كلامها ادار وجهه نحوها
واذرفت عيناه الدموع وقال : إلى متى تعذبني يا طيف الحبيب وإلى
متى تجرح قلبي بتجليك اما كفاك تعديك وانا صحيح حتى تروم
عذابي وأنا عليل ؟ اذهب عني يا خيالها المحبوب وخلي اموت
بمحبا ضحية جفاها وحدها فسكت إستر بيديه وشدت عليهم ما حتى
ألتمها وقالت :

بطرس حبيبي ومهجة قلبي : ارجع إلى نفسك وانظر إلى
امامك فأنا إستر بنفسى عزيزتك واسيرة غرامك ساجدة امامك
انظر اليك بعيني ، والمسك يدي ، واكلمك بلساني فارحمي بنظرة
او حيني بكلمة ولا تكن سيئا لما في فاقمص بطرس قائما على
الأقدام كمن صدمته يد جبار وابعده عن يدها كمن لسعته افعى
ثم وقف عن إستر بعيدا وبعد أن اطال فيها النظر انطرح على
قدميها با كيا قائلا :

استر حبيبتى مهجة قلبي منيتى جنتى حياى انت استر بعينك
وشخصك قد أتيت لزيارة عبدك وقتيل غرامك وهو على فراش
الضنا والعذاب فبشرى لك أيتها النفس فقد عادت إليك الحياة
وسعدا لك ايها القلب فقد وهبت لك السعادة . ولكن لما أيتها
الحبيب قتلتنى بالهجران وأمت قلبي بالصد والجفا ، وكيف
استحللت دمي وسمحت بهلاكى افلم يكن الأجدر بك أن تعاملنى

بما ينطبق على جمالك اللطيف وخيالك الرقيق . . . ولكن عفوا
 يا حياتي فلا لوم بذا عليك فانا الذي سلبت نفسي واوقفت لك
 الفؤاد ورضيت بأن اموت بغرامك ان لم احى به . . . اما الآن
 وقد مننت بالقرب بعد البعد ، وبالوصل بعد الصد . والجفاء
 فعديني بأن لا تضنى بعد الجود ، ولا تهجرى بعد القرب والا
 فاتركيني اموت بحبك واروح ضحية تجنيك فالى على بعبادك
 اصطبار . وعلى هجرتك طاقة اذ الموت راحتي والقبر ملجأى .
 فانظرحت المحتملة على أقدام بطرس تقبلها وتبكي وتنحسر وتأسف
 تأسف النادم وهى تقول : عفوا يا سيدى عما سببت لك من
 العذاب بغير قصد ، ومن الألم بغير المراد فان اكن اذنبت فبحر
 حلمك واسع أو أتيت أمرا إذا فلى بحبك أقوى مجير وشافع ،
 واعلم بأنى ما رحلت عن اوطانى الا لأجلك ، ولا ركبت الأخطار
 إلا ودليلي غرامك فرغبة فى لقياك بارحت وطنى ومسقط رأسى
 وسعيا وراء التمتع بقربك تركت ابى وكل اقاربى وما كنت اصدق
 هناك وابعد عنك الا خوفا من والدى وخشية من تحدث الناس
 فى مع انى اسيرة غرامك وقتيلة حبك ولم اكدا علم انك بارحت
 هاتيك الأطلال آتيا اسبانيا الا وتأججت زيران الحب فى
 احشائى فاهبتها ، ولم يعد لى طاقة على المسكوث بعدك ساعة
 واحدة بل لربما حظيت منك بالذى ارغب فى البلاد الغربية حيث

لا أخشى في حبك عدلاً ، ولا في غرامك لوما ، وما قصدت
بصدك هنا إلا التمكن من محبتك ، وما منعتني من الانطراح على
أقدامك إلا حياة النساء وماء وجه ربات الخدور ، وإنني لا أعلم
انه سيفضي الأمر إلى ضرك وعذابك ومرضك وسقمك . اما
الآن وقد تأكدت بقائك على محبتي فقد أتيت اطلب من حبلك
عفواً ، ومن محبتك عذراً ، فاني مستعدة لتضحية النفس في
سبيلك ، والموت في غرامك ، فخذ قلبي هدية بغير ثمن وتقبل
حياتي ضحية ذكية . وها انا ذاهبة عنك الآن لئلا يضر بك
التأثير والانزعاج فقد اصبحت لا تقوى على المكوث طويلاً
خارج الفراش فارجع إليه واسترح وتعاف وعش لأجلي فأنا
لا ابغى الحياة من الآن إلا بك ولأجلك ، قالت هذا ومشت
نحو الباب تتمايل تتمايل الغصن الزاهي وبطرس شاخص بها متأمل
في بديع جمالها مطرب بلذيد حديثها ولم يدعها تخرج إلا لانه غاب
عن الحواس ولم يعد يعرف اهو في الأرض الفانية ام في جنة
الفردوس الدائمة ، ولما غابت عن عينه رجع إلى نفسه وتذكر بما
كان فيه وبالسعادة التي نالها والتي سيناها وعمد إلى سريره ونام
مطمئن البال مرتاح الفؤاد ، ولما انتبه رأى الطبيب بجانبه يتأمل
فيه وينظر إلى حاله وعليه علامم السرور والاستبشار ، فكلمه
(م - : الصيوني)

الطبيب قائلا :

لقد نمت هنيئاً ومنتعت عافية وشفاء إننى أرى فيك من علامات الشفاء والصحة ما حيرنى امره ، وبعد ان كان املى ضعيف بشفائك ، اضمنه لك الآن واهتلك به سلفا ، وليكنى فى غاية الانذهال والاستعجاب من هذا التغير السريع واخفى بأن لذلك سرأ وارجع ان هذا السر غم قد زال ، وكربة قد فرجت فتبسم بطرس إذ ذاك وفرح لكلام الطبيب وقال : إننى أرى بنفسى قوة ونشاطا واشتهاء للطعام وكل ذلك دليل الخير وبشير الصحة والأمل ان يكون كلامك صحيحا ولكن لا سر لذلك سوى اعتنائك بى واهتمامك بمداواتى فأشكرك عليها كل الشكر رأتى مديونا لك بالحياة . فلم يغير كلام بطرس فذكر الطبيب ، ولكنه لم يحاول استطلاع الخبر احتراماً للاسرار ثم خرج بعد ان فحصه ووصف له العلاج واوصاه بالتحرز من البرد والتزام الحمية خوفا ان تكون النكسة شرأ من الداء .

وبالحقيقة ان بالحب اسرار اوجدها الخالق الحكيم يحير فيها كل متأمل ، ويقف عن إدراكها كل تصور فما هى تلك القوة السرية وتلك الروح الخفية التى احبنا صاحبنا بعد المات وارجعنا اليه الصحة بعد ان فارقت اننى اوجست خوفا من سبر غور هذا السر المكنون ، واحجست احتراماً لهذه الروح اللطيفة الخفية

فأقصر القلم عن الخوض فيما حارت فيه العقول .

ولكن لا حرج علىّ أن أبسط ما سهل لدى فهمه وهو أن صاحبنا بطرس لم يصب بعلّة ، ولا بمرض ولا بداء صعب البرء والشفاء ، بل أن علته كانت مجرد سقم ناتج عن انشغال الفكر واضطراب البال ، وما أصل كل هذا إلا حبه لشخص وشدة شوقه للتمتع به والالتعاش برؤياه ، فقام الحبيب من فؤاده مقام القوت من الجسد ، وصلته مقام الروح من الجسم ، ولما أحرم فؤاد بطرس من القوت ، وجسمه من الروح عند صد الحبيب وهجره ، الهاه هذا عن الانشغال بأمر جسمه وأحرمة القوت والرقاد فعنى وسار بالخوار وقارب الاضمحلال ، فكان من البسيط إذاً أن ترى هذا الميت قد عاش إذ رجعت إليه الروح وهذا الفؤاد قد اشتد عندما اتاه القوت . نعم : أن بطرس قد عاش بعد المئات ولم يمض عليه إلا أيام قلائل حتى رجعت إليه صحته ، وقام ينفذ غبار العلة بسرعة توجب الحيرة والاندمال . وكثيراً ما كانت تزوره إستر ويزورها وتسامرهم ويسامرونها وهي لا تفاتحه بما يخالج سرها لأنها كانت تنتظر رجوع القوة إلى بطرس ليتمكن بها مقاومة الصدام وصد السكره حتى حصل على تمام الشفاء وتمكن من الخروج معها للتنزه في إحدى ضواحي المدينة المقفرة ، فأقبلت عليه وقالت :

ما قد من الله عليك بالشفاء وردك الله إلى بعد قطع الرجاء
 والحمد له على ذلك فعذني الآن بأنك لا تبعد عني ، وعاهدني على
 البقاء بجانبني فلم يعد لي صبر على فراقك ولا حياة بعد البعد عنك
 فأجابها : إني افتخر بحبك لي وأسعد لعلي أن قلبك في يدي
 وكيف أبعد عنك يا مالكة الفؤاد وبعدك كاد يحرمني الحياة أو
 كيف أفارقك وقربك أعاد الحياة إلى فأعاهدك بأنني لا أعيش
 من الآن إلا بك ولأجلك وأفضل الموت على البعد عنك لاسيما
 وإنني أعلم أن ذلك يسوءك ويكدرك فلا عاش من يكون السبب
 في تسكير صفاء راحتك فإني بعد أن اقضى اشغال سيدي هنا
 واقوم بالمهمة التي أناطها بي أرحل بك إلى طائفة . واخطبك
 رسميا من أهلك وإن كان دينك يغير ديني أما إذا لم يقبل هو
 بهذا فإني أتزوجك بدون رضاه وإن أردت البقاء على معتقدك
 فأنت وشأنك فلا تعلق للدين في حينا ، وأنت ديني ومذهبي
 ومعبودي ومعتقدي ، قال هذا ونظر إلى عينيها نظر من يروم
 الاطلاع على خفايا قلبها فرآها كثيفة البال غارقة في بحار التأمل
 ثم رآها نظرت إليه بطرف حزين وجرت دموعها على
 خديها وهي صامته شاخصة لا تتحرك فطار قلب حبيبها لفعلها
 وقام فمسك يديها وجعل يقبلهما ويقول أخبريني يا حياتي ما الذي
 يحزنك وما الذي يبكيك فقد أحرق قلبي فملك ، فقالت له :

إنك ترى السراب وتحسبه ماء ، والمنام وتظنه يقظة كيف يمكنى
يا هذا الرجوع إلى اوطانى بعد ان شاع امرى واشتهر فيه حبي
لك حتى علم انى رحلت منها لأجلك وفضلتك عن والدى واهلى
واقاربى وكل ما هو عزيز لدى او كيف يزوجنى والدى لك وهو
يكره كلما هو خارج عن دين موسى وبعيد عن التلود ولو كان فى
الامكان حصولى على مناى وانا فى بلدى لما كنت رحلت عنها
واتبعتك . واذ رأيتك تنوى الرجوع إليها بكيت على نفسى
وندبت سوء حظى وعلمت بانى من آمالى فى غرور ، واعلم
يا بطرس ان لاهياة لى بعدك وقد صممت لذلك الية على الفتك
بنفسى ما لم تعدنى بأنك لا تبارحنى ولا ترحل عنى ولا تخلىنى
هدفاً لسهام المصائب . فأجابها :

كيف يمكن يا ربة الفؤاد ان ابقى فى هذه البلاد وانا مأمور
بمنتدب لقضاء مهمة سيدى فقد كلفنى بحاجته وسلمنى ماله ومراكبه
وجميع ثروته فهل يمكنى إلا الرجوع إليه بعد قضاء حاجته لأرجع
له ما سلمنى من المال ، فما العمل يا فاتنة اللحظ ، وكيف التدبير ،
وبأى واسطة يمكنى ان ارضيك؟ فلم يكذبتم كلامه إلا وضحكت
حتى استلقت على قفاها وقالت : إنك فى الحقيقة قليل الحيلة
عديم التدبير فأى أمر ابسط واى واسطة احسن من فرارنا معا
إلى بلاد غريبة حيث لا يعرف لنا خبر ولا يوقف لنا على أثر

وهناك نكون في امان من صروف الزمان بعيدين عن استقضا
الحكومة وصرامة القانون

فكانت الصدمة عظيمة ، والضربة قوية على رأس بطرس
المنكود لحظ فدفعته إلى الوراء عدة خطوات فكأنه كان في
منام واستيقظ ، وفي غفلة واتبه ، وتجلت له الحقيقة الساطعة
وكادت تعمى عينيه فارتعد منها فرقا ونظر إلى إستر نظرة المستطلع
المتعجب الخائف لعله يرى منها ما يستدل منه بأنها قصدت بذلك
مزاحا فرأها ثابتة صامته ناظرة إليه نظرة الأمر المتحكم كأنها
تأمره بعيذها للانقياد لإشارتها والخضوع لأمرها وهي تنتظر
منه الجواب بالإيجاب . فرد عنها طرفه واطرق برهة إلى الأرض
لا يتكلم ثم رفع رأسه مقطب الوجه دامع العين وقال لها :

لا . لا . فلا اخون سيدى ولا انكث عهده فانه إلتمنى على
ماله وسأنى ثروته ومصالحه واشغاله وانتدبنى لقضاء مهمة في هذه
البلاد فلا اضيع ثقته بى ولا اخيب ظنه فى امانتى . لا ليس
الخيانة من شأنى ولا نبذ الجميل من خصالى وإنى افضل الموت
على ان ابادى منى وثق بى بالخيانة ومن غمرنى جميله بالكفران .
فانتفضت إستر من الغضب عند سماع هذا الكلام ووثبت قائمة
على الأقدام ونظرت مهددة موعدة وقالت : قد ظننت انك
صادق فى محبتك ، ثابت فى غرامك فعللت نفسى بالآمال واملت

بالسعادة في قربك واتبعتك . فلاجلك ركبت الأخطار وبارحت
 وطى العزيز ونبذت الوالد والاقرباء والأهل والعشيرة ولأجلك
 جعلت نفسى مضغة في افواه الناس وارتكبت العار والشنار
 واخيراً لأجلك تركت دينى ومذهبي وجلبت على غضب ربي
 ووالدى ، كل هذا جابك ورغبة في القرب منك ولم أكلفك
 مقابل هذا إلا المكوث بجاني واجتناء ثمرة حبي كل هذا وأنا
 اظنك صادقاً في محبتك مقيم على عهدك فعنت بانك كسواك من
 الرجال لا تعرف للحب معنى إلا الشكوى ، ولا للفرام داعياً
 سوى الامال الجسمية . فأراد بطرس ان يقاطعها معترضاً فقال
 لستر سيدتى فمنعته قائلة :

صه بطرس فلم يعد يخذعنى كلامك ويغرينى ظاهره ولو
 كنت صادقاً لآثرت البقاء بجاني ولم تحفل بما تسميه خيانة ونكث
 عهد وما هو فعلك بجانب ما فعلته انا ، فانا الخائنة الجانية المجرمة
 واى خيانة اعظم من فرار فتاة من بيت ابيها وراء معشوق يدعى
 العشق والهيام وتسليم نفسها لمن لا يعرف مقدار فعلها . كل هذا
 فعلته لأجلك وما زلت ترى المكوث بجاني خيانة . . . فاعلم
 ان الخيانة الحقيقية هى تخليك عن امرأة ضعيفة تركت العالم اجمع
 وتبعتك ، وتركك إياها منكسرة القلب كليلة الفؤاد وحيدة بغير
 عون ولا سند ستقاسى من بعدك العذاب وتموت بعيدة عن ذويها

قتيلة حبك وضحية هواك . قالت هذا ثم بككت واشتكت
وتهدت الحشرات واسالت العبرات كل هذا وبطرس شاخص
في جمالها مسحور ببيانها وقد كسر غضبها سلاحه وابطل حسن
إلقاها شوكته ولم يشك بأن كلامها صادر عن عظيم ~~عظيم~~ ~~عظيم~~ ~~عظيم~~
غرامها لاسيما إذ رأى بكائها وسمع عويلها فانه اصبح ذاهل اللب
ذاهب العقل مختارا فيما يقول مترددا فيما يفعل . ولما رأت المحالة
تأثير فعلها فيه ودلائل استيلائها على عقله فرحت وارادت تمام
الاستيلاء وغاية الانتصار ، فمدت يدها إلى ما بين ثديها واخرجت
خنجرأ ماضى الشفرتين وابتعدت عنه عدة خطوات وقالت
بصوت تخنقه العبرة لا عيشة لي بعدك ولا لذة لي بالبقاء بعد
بعدك فالموت ملجأى ولكن تذكر بانك انت الذى قتلتى غدراً
وأمتى ظالماً وان ساحتك بقتلى وضحيك لك حياتى فان روحى
المظلومة ستزورك فى كل حين وتظهر لك بثوب المشتكى المتظلم
وتناديك بذاك النداء المرهب المهيب انت كنت السبب فى قتلى
فاطالبك امام الحق بحياتى . . . ثم رفعت يدها بالخنجر وكادت
تضرب نفسها به حقيقة لو لم يهجم عليها بطرس وهو ذاهب العقل
طائر اللب وحاول إمساك الخنجر من يدها فدفعة بعنف قائلة
دعنى اموت الآن وانا اراك ولا اموت ضناً وسقماً بعدك
وأذهب قتيلة صدك وبعذك ثم جعلت تحاول ابعاد بطرس عنها

وإطلاق يدها بالخنجر لتضرب به نفسها .

إن القلم يقصر لعمر الحق عن وصف حالة هذا المسكين
أسير الهوى والعوبة القدر فانه كان يتمنى ان تزوره المنية في تلك
الساعة المهولة ولا يقف هذا الموقف الحرج ويكون مخيراً بين
ان يخون سيده ويفر بأمواله كالمختلس السارق او ان يسمع
بموت مالكة قلبه وسالبة له بل حياته وراحته ومناه وجنته فيق
بعده ويكون كالقاتل السافك ثم يموت بعدها إذ لا حياة له
بعد موت قلبه . ولكن لا وقت هناك للتردد ولا فرصة للتأمل
ولا بد من الاختيار العاجل ، فاختار اخف الضررين واهون
الشرين (بنظره القصير) وهو ان يعد سارقاً محتلساً ولا يكون
قاتلاً سافكاً للدماء فانطرح على أقدام إستر با كيا منتحياً قائلاً :
لم يبق لى إرادة غير إرادتك ولا فعلاً مختاراً سوى ما تأمرين
فمرينى بالتي تريدن فانى عبدك المطيع وأسيرك الخاضع ، وقد
صدق فيما قال فانه قال هذا ولم يعلم ما يقول وأتى اعظم المنكرات
وهو لا يعلم ما يفعل فوطوباه من ضحية غدر ورحم الله ثراه
من قتل غرام . فقالت الغادرة عند ذلك وهى فرحة منتصرة .
أنا لك منذ الآن فخذنى وتمتع بجمالى واجتن زهرة صباى فالفرصة
مناسبة والموقف خطير .

الفصل الخامس

خرج أحمد بن محمد التازي من مدينة فاس وترك الأميرة حبية أميرة هواه لأن قلبها قد مال إليه لأول نظرة وتمنت لو أمكنها في الحال أن ترمى بنفسها إليه وتقول له . خذني فاني لك فلم يبق لي صبر عن جمالك وغنى عن حميد خصالك ولكنها كانت مقيدة بأرادة أربها فلا يليق بها أن تحث يمينها التي أقسمتها أمامه فنهينه في اللاحد وتصبح هدفا للغضب المولى ، ولكن تمنت لو اختار أحمد ذلك الاثناء الذي فيه صورتها فترضى بذلك والدها وتفوز هي بمناها ووطدت النفس على تسهيل العلامات وتكثير الاشارات له لئلا يخطيء سهمه المرمى فتكون الخسارة على الاثنين . ومكثت تترقب رجوعه إليها فلم يرجع وقد جهلت بأنه سافر إلى بلده طائفة للحصول على المال ، ولو علمت لمنعته عن ذلك لا محالة وتلافت ما كان عتيداً ان يحصل من المصائب والأهوال ولكن قدر الله ذلك ليقضى أمراً كان مفعولاً ويظهر غدر اليهود والصهيونية فسبحانه مدبر الكون بحكمته القدسية مسخر الكل لتنفيذ إرادته الإلهية . ولما طال على حبية المطال تعجبت من عدم رجوع أحمد إليها لأنها أظهرت له كل انفس وبشاشة وتركته له محلاً للامل هذا فضلاً عن انه وعد بالعودة .

القرية ولكنها مع هذا كانت تشعر بسرور في قلبها وانشرح
 في صدرها أملت منهما الحصول على مناها لأنها كانت ممن يعتقد
 بدلائل القلب وأمارات النفس ولهذا مكثت تنتظر رجوعه
 العاجل. هذا ولم تنقطع عنها الطلاب ولكنهم قلوا عن ذي قبل
 لحبوط مسعى الجميع ولم يكن يقصدها إلا أسير لحبها مغرم بهواها
 حتى جاءها يوما أمير من الجزائر من ذوى البسالة والاقدام
 المشتهرين بالشهامة وحميد الخصال ولكنه كان أسمر اللون تلوح
 على وجهه آثار الشجاعة والرجولية لا آثار الجمال واللطافة فاعرضت
 عنه بأدىء بدء أو لا لقبح منظره وثانيا لأن قلبها مقيد غير مطلق.
 ولكنه كان قد سمع بأمر الأواني والصورة فابى الرجوع الا بعد
 اختيار الآنية وجعل يستعطف خاطرها ويرجوها الالتفات
 والرفق فاضطرت مقهرة لمساواته بمن سواه وقبل أن تدخل به محل
 الاختبار حاولت منعه بقولها : انى سادخلك الآن محل الانتخاب
 ولكن قبل الدخول إليه يجب بأن تقسم لى اليمين المماثلة
 بالألا تعود تفكر بمحادثة النساء والتزوج بغيرى اذا ما خابت
 آمالك وحبطت مساعيك لدى وإلا فارجع من حيث أتيت
 ولا تحدث النفس بالحصول على .

فقال لها بغير تردد : اقسم لك بهذا البتار وشرف ابائى وقومى
 الشجعان الاخيار باننى لا أعود إلى الفكر بالنساء وانذر بعد اليوم .

الزهد والبركة فلا يحركنى جمال امرأة ولا يهزنى دلال غانية ان
 حرمت التمتع بجمالك يا ربة الجمال الباهر الزاهر فدخلت الأميرة
 امامه إلى قاعة الانتخاب وهى توجف خوفا من نجاح مسعاه
 ولما وصل إليها أوقفته تجاه الأوانى وقالت اقرأ ما عليها وتأنى
 فى الاختيار فانت الآن بين أمرين اما الحصول على أو تحريم
 النساء عليك فنظر الأمير إلى الأوانى فقرأ على الآنية الذهبية
 هذا البيت .

ان الذى يختارنى يحظى بما يبنى الكثير من الأنام نواله
 ثم قرأ على الآنية الفضية :

إذا اختارنى طامع بالنوال فيعطى على قدر ما يستحق
 ثم قرأ على الآنية الرصاص :

ومن يختارنى يقضى عليه يبدل النفس والمال النفيس
 فتأمل طويلا فى هذه الآيات وفكر مليا فى معانيها وهو
 متحير خائف فقال فى نفسه : ان اخترت آنية الرصاص خاطرت
 بنفسي وبكل مالى وذلك فى سبيل انام من الرصاص الاسود الوجه
 ومن جهة أخرى فلا يحتمل بأن هذه السيدة العديمة المثال تشرى
 بالرصاص فعلى اذن باللجين الواضح فلعلى اجد بياض حظى
 ببياضه فقد نقش عليه بأن منتخبه ينال ما يستحقه . ومن يستحق
 الأميرة أكثر منى وانا من يدت ائيل المجد رفيع العباد تخشى

الأسود بأسه . ولكن كيف اختار الفضة وأترك الذهب فإنه
منقوش عليه من اختارنى نال ما تمناه كثيرون . فهي المني وهي
غاية الأرب وفوق ما استحق فلا شك أن الذهب محل لصورتها
فهي سيدة النساء وهذا سيد المعادن فلا طمعن بالذهب واعرض
عن الفضة ولا شرينها بأغلى الأثمان . ثم التفت إلى الأميرة
وقال لها اعطنى المفتاح يا مولاتى فقد اخترت الذهب لأنه لون
شعرك الفاتن فتبسمت حبيبة فرحا وهو يظن بأنه أصاب المرمى
وناولته المفتاح . ولما ازال به الحجاب عن داخل الآنية رأى
فيها ورقة بدل الصورة فامتقع لونه واضطربت حواسه وكاد
يغيب عن الصراب لولا حيائه من الأميرة فتمالك نفسه وتشدد
وتناول الورقة بايد مرتعشة وقلب مرتجف فقرأ فيها هذه الآيات
يغتر كل اسرىء فيما له ذهباً ما كل لامة من معدن ذهباً
يا طالما باعت الأقوام انفسهم حبابو صلى ليحور والجاه والنسبا
وأول إلى وجهى الوضاح فانههروا وفاتهم أن تحت الوجه بشس نبا
وأن طى نواويس مزخرقة تتانة ورفاة تجلب العطباً
فلو حوت الذكا والعقل فيك كما تحوى الجسارة والاقدام والآدبا
لما ضللت وفي ذا الحكم من غلط اخطأت واخترت حمل الهم والنسبا
قد خاب مسعاك فاذهب آيساقنطاً وارجع بخنى حنين واقصر الطلبة
فكاد غواده يتمزق من شدة الغيظ ورشده يغيب من كثرة

الأسف ولكن علم أن لا مرد لهذا الحكم ولا سبيل لاعادة
الانتخاب فودع الأميرة وهو منسكر الفؤاد وزكى قسمه الأول
بآخر انه لا يفكر بعد هذا قط بالنساء وهكذا قضى على هذا
الباسل بأن يموت بحبه ولا ينال من الغرام بعينه . وبعد أيام
قصدها آخر خلفته اليمين ورجع كالأمير بخيبة المسعى لأنه اختار
الفضة وابتى أن يخاطر بنفسه وما لديه لو وقع اختياره على الرصاص
وحصل هذا من كثيرين غيرهما فرجعوا بخفي حنين وهي تنتظر
مجيء احمد التازى والغريب بأنها كانت كلما نالت ايام على
على غيابه ازدادت يقينا برجوعه واملا بالحصول عليه نسحان
المنجى الحكيم الرؤوف الحليم وأخيرا ما زال املها حتى تحقق
فان احمد مذ حصل على المبلغ بضمانة صاحبه لم يمكث ليلة
طائفة الا بضعة أيام لقضاء ما يلزمه من الحاجات ثم سافر بعدها
إلى فاس فوصل إليها وهو يطير فرحا ويهتز طربا وقصد على الفور
قصر الأميرة حبيبة وهناك خفق فزاده وحسب للفشل أن
حساب ولكنه لم يلبث ان اطمأن باله اذ ظهر له نور ابتسامها
وومن رضاها فرحبت به وانزلته محل السعة وقامت باكرامه كل
القيام وبعد أن مكث لديها ساعة قال لها انتى قد اتيتك الآن
خاطبا ولفريد جمالك طالبا انتى لست اهلا لك يا من تفردت
بالجمال ولا استحقق يا من هى وحيدة فى شرف الأصل وحسن

الحصال ولكنى ساضحين النفس حبا برضاك واستسهل الصعب
فى سبيل مناك فلعلى استحق هذا الجمال بأماقنى وهذه الذات
باخلاصى فأرجوك أن تقابلنى طلبى بالرضا وتحليه محل القبول
قالت :

جئت على الرحب والسعة إليها السيد المهاب فأنى ارضى بك
زوجا واختارك لى بعلا لأن الشهامة تلوح عليك وملاحم المروءة
والرقة تشير إليك ولكنك تعلم انى مقيدة بأمر والذى فلا اعصى
أمره واخالف وصيته وقد بلغك على ما اظن خبر الأوانى الثلاث
ففى احدها صورتى ان اخترتها فاناللك وملاك يدك ، وغاية مناى
أن تصيب المرمى وتختار الصحيح لافوز بك واحظى بلطفك فقد
سئمت نفسى الاتظار واخشى من الوقوع فى ايدى من لا ارضاه
فأجابها بقوله :

اشكرك مولائى على ما ابديته من الرقة والتعطاف وحسن
الالتفات وأنى اعد نفسى سعيدا ان حل طلبى لديك محل الرضا
والقبول . فها بنا من الآن إلى محل الاختيار فلعلى افوز بالمنى
بالهام الحكيم الستار وحالما وقع نظره على البيت المنقوش على
آنية الرصاص قال هذا هو حالى وما يليق بشأنى . فأتى جنت
مخاطراً بنفسى وكل ما لدى فأن لم انجح فى هذه الكرة لم يبق لى
فى الحياة مطمع وصار الموت هدى اهر الأشياء فابتسم عند

ذلك وقال لقد اخترت آنية الرصاص يا سيدتى بعد الاتكال
على الله فلعلى فزت بالمنى ونلت المراد . فانطرحت الأميرة عند
ذاك على عنقه وجعلت تقبله وتقول له انت زوجى من الآن فقد
اخترت الصحيحة . والحمد لله على وقوعى فى ايدى من احب
واختار فعانقها هو أيضا وبلل عنقها بدموع الفرح وهنئتا نفسيهما
بلوغ الأرب . وبعد مضى يومين اولمت الأميرة حبيبة الولايم
ودعت الأكابر والأعيان فزفها أهلها الى احمد بن محمد التازى
باحتيال رائق وابتهاج فائق ، والناس بين حاسد له على النعمة
التي نالها ومنى بها .

وكان الجزولى فى كل هذه المدة مطامئ القلب مرتاح البال
لا يحسب للصاب حسابا وهو يترقب وفود وكيله بطرس
بالاموال والتحف فينى اليهودى ماله لينما يظهر من صاحبه خبر
كل هذا وناهون اليهودى يهزأ به ويترقب بفروغ صبر انقضاء
الأجل ولما قارب الانقضاء تعجب الجزولى من تأخير وكيله
وحدثه نفسه بوقوع مصاب عظيم وخاف من انقضاء الأمر
واجراء الحكم عليه وقد علم الناس بأمر الشروط الغريبة وعلوا
أن فى الأمر سرا خفيا وقصدا منويا وخاف بعض الأصدقاء
على الجزولى من مكر اليهودى الملعون فذهبوا إليه وسعوا لديه
بتحوير الشروط وطلبوا منه الرفق فقال لهم : هبنا تتعبون انفسكم

من تغيير مقاصدى فاذهبوا الى صديقكم وانذروه بتنفيذ الشرط المتفق عليه فلا مناص من تنفيذه .

فقاوا له وما فائدتك يا ناهون من قطع لحم الرجل .
فدمدم اليهودى وتمتم واخذته هزة الانتقام فقال : كم مرة أسلف المال بغير الربى وعارضنى فى اشغالى حتى الحق فى التأخير والخسران وليس هذا فقط فانه طلما اهاتنى واحتقرنى وطعن فى امتى وكره الناس بى فاحتملت كل ذلك بصبر وذلة . اما الآن فقد حان وقت الانتقام وتمزيق لحمه باسنافى وطرحه لسمك البحار . يا قوم أليس اليهودى بشر مثلكم ، نعم هو مثلكم إلا فى معتقدهم وفى الانتقام منكم فهو يهودى لا يعرف الرحمة وحقوق غرامه الانتقام فاعلموا ذلك وانقلوا كلامى هذا بالحرف اليه وخلوه يستعد لشرب كأس الحمام من يد من لم يتحش بأسه - إلى الآن . فنداع هذا الخطاب فى المدينة وبلغ مسامع سيدى محمد الجزولى نخاف على نفسه من الهلاك وكتب إلى صاحبه احمد النازى بفاس يخبره بكل ما حصل ولكن الأجل انقضى قبل أن يخضر الجواب من النازى فرفع اليهودى امره إلى قاضى المدينة ودخلت القضية فى التحقيق .
أما ما كان من أمر احمد النازى فانه وصله كتاب صديقه الجزولى فطار قلبه اسفا على حالته ولا م نفسه على انشغاله بالغرام (م - ه الصيوني)

عن صديقه حتى قضى الأمر ولكنه يعذر من جهة ظنه أن المال متوفر لدى صديقه وجهله ما طرأ من الحوادث فللحال دخل على قرينته الأميرة وقص عليها القصة فاعطته عشرة آلاف دينار وقالت له اذهب بنفسك إلى طانجة لخلاص صديقك فان كل هذا قد حصل من أجلك فساغر ممثلاً لأمرها وهو يتمنى لو كان له اجنحة يطير بها إلى خلاص صديقه . أما الأميرة فانها بعد أن خرج زوجها اسرعت إلى السلطان الذي هو خالها وطلبت منه أن ينتدبها للحكم في هذا الأمر فقبل السلطان طلبها وقال لها ان قاضى طانجة مختار في الأمر وقد بعث يطلب رأيي فيه فالبسي لبس القضاة وسافرني إلى طانجة نائبة عني وأنا واثق بأنك ستصرفين هذا الأمر بدراية وحكمة .

وفي اليوم المعين لسماع المحاكمة تقاطر الناس افواجا وفرادى لسماع الدعوى حتى غصت بهم قاعة الحكم والدار ولما افتتحت الجلسة برئاسة القاضى وعضوية حاكم طانجة طلب القاضى من اليهودى أن يشرح دعواه فشرحها وبين ظاهرها وطلب الحكم بتنفيذ الشرط المتفق عليه من الجانبين فجعل الحاكم إذ ذاك يعظ اليهودى ويحذره من عقاب الله اذ اصر على الانتقام فلم يحوله الارشاد والنهى عن عناده وقال لا معنى عندى للرحمة ولا مجال للعفو فعليكم أن تنصروا الحق وتحكموا بتنفيذ الشروط والا

قلت على العدل والحق والسلام .

فقال له القاضى : كيف تنتظر من ربك رحمة ولم ترحم غيرك
فقال لا ابتغى من ربى رحمة ولا أروم من القانون رققا وكيف
ابنى الشفقة وليس فى شرطنا رحمة أو اشفاقا فاحكموا بالعدل
يا خدمة القانون الصارم واعطوا الحق ذويه وإلا فدعوني أقول
أن الحق والعدل قد ضاعا من العالم . فاجابه القاضى برزاقته . إن
صفة الرحمة يا ناهون لا حد لها ولا نهاية فهى كالغيث ينزل على
الراحم والمرحوم فيكون لها بركة ونعمة . وإن شئت فقل إنها
ألزم للقلب من القوت للجسد وإلا فمن فقدها عدّ كالوحش
الكاسر أو كالذئب المفترس . أما مقدارها فهو بقدر عظم مقام
الراجل وهى ضرورة للمقتدر وأكثر ضرورة للملك من
صولجائه ، لأنها دليل الحلم والعفو والإحسان . وذاك عنوان
العنف والقوة فعليك بالرحمة يا ناهون وارفق بهذا الرجل الكامل
الصفات ولا تجعله يلقي الشر فى هذه الدنيا جزاء ما تعودته من
الخير والإحسان فتضاد بذلك الإرادة الإلهية والطبيعة الإنسانية
وهذا فضلا عن أنى اتعد لك برد . لك وفوقه ألف دينار .

فقال ناهون اليهودى : كنت اظنك منصفيا يا حاضرة القاضى
وأعدك الآن فيلسوفا بعد ما سمعت ألفاظك الدرية وافكارك
السامية فما فائدة من الرحمة وهل تجوز إذا كان بها الظلم والأخلال

بالقانون ؟ فليست الرحمة من العدل . أما الأربعة آلاف دينار
 فلا ارضاها واعلم بأنك أتيت للحكم باحق لا للصلح والمساواة
 فافعل اذن الواجب عليك ولا تدخل فيما لا يعينك . فصاح احمد
 التازى وقلبه يتمزق من الغيظ والحزن : ارحم أيها اليهودى
 وترفق بحالى فان عفوت عن هذا الرجل صرت انا مع جميع
 اصدقاء الجزولى لك عبيداً واطلب مقابل عفوك ما شئت منى
 فلا جلى وقع فى يدك فخذ منى إذا عشرة آلاف دينار بدل الثلاثة
 او عشرين او ثلاثين . فأجابه اللعين بتأن وهو باسم مسرور :
 لا اطلب غير رطل لحم من اقرب نقطة من قاب الجزولى . فقال
 له آخر : ارض بثلاثين ألف دينار فهى خير لك من قطعة لحم
 لا قيمة لها . فأجابه اليهودى : إن رطل اللحم فى شرعى لا يقابله
 ثمن ولا تقدر له قيمة ، وقال آخر : ارحمه يا يهودى وشفق على
 اصحابه فأجابه إتنا فى موقف الانتقام لا فى موقف الرحمة فمناق
 صدر الجزولى عند ذلك وفرغ صبره وسمت نفسه الحياة فقال
 للقاضى بأنه هو ايضا يطلب الحكم بتنفيذ الشرط وان خصمه
 لم يطلب إلا الحق . فقال له القاضى : قدم له صدرك إذا ففعل
 فأخذت اليهودى عند ذلك هزة الانتقام فقدحت عيناه الشرر ،
 ونفت صدره ثم الحمد والصفية واستل سكيناً اعددا لهذا القصد
 وتقدم نحو فريسته وهو يرتعش من الفرح .

فطار فؤاد احمد التازى لفعله وهجم كالاسد على اليهودى
فاختطف السكين من يده وهو ينتفض من الغضب وصاح بلى.
صوته : يا ويلكم ايها الحكماء من غضب الله وعقابه هل اصابكم
جنون حتى تساموا ناصر الإنسانية وابن الوطن إلى هذا اليهودى
الصهيونى المتشرد القاتل المرائى السفاك ؟ أو هل قدت قلوبكم
من الصخر أو جردت عن الحق والإنصاف حتى تتركوا الدم
الزكى البرىء يهرق بأيدي الضغينة والعدوان المندسة فتباً لهذا
القانون . فزجره القاضى على فعله وقال له : لا تتعرض لما لا يعينك
ودع الحكم لأربابه . ثم التفت نحو اليهودى وقال له : هل أتيت
بميزان لتزن اللحم ، وجراح يمنع الدم من النزيف ؟ فقد عزمنا
على إنصافك وإعطائك حقل . فقال اليهودى : قد أتيت بالميزان
ولكن لم بخطريالى الجراح إذ لا يهمنى إن مات غريمى أو عاش .
فقال القاضى : حيث انه لا يمكننا الخروج عن القانون ويجب
علينا ان نصفك ونحكم بتنفيذ شرطك كما هو فقد أذننا لك
بقطع رطل لحم من جسم غريمك كما تطلب ولكن إياك أن
تسقط نقطة واحدة من دمه فليس مذكوراً فى الشروط أن تأخذ
من دمه فحياتك إذا تكون فداء لنقطة واحدة من دمه . وإياك
أيضا أن يزيد المقطوع درهما واحداً عن الرطل فتقدم الآنى نفذ
الحكم بحضرتنا . فصاحت الجموع إذ ذاك وعلت منهم أصوات

الفرح وتصفيق الاستحسان ودار الأصدقاء بالجزولى يهثونه وهم
معجبون بحكمة القاضي التي أشبهت حكمة سليمان .

أما اليهودى الغادر فكان صاعقة قد انقضت عليه فأخذت
منه الأنفاس أو أن الأرض انقلبت به فرمته فى قعر الجحيم
فعلته صفرة الأموات وجرى دمه بارداً فى العروق وشعر بسوء
منقلبه وأحس بعاقبة خيائه وقال : إن كان الأمر كذلك وهذا
مستحيل فقد رضيت بالمسال الذى عرض على وهو ثلاثين ألف
دينار. فصاح التازى وهو فرح بسلامة صديقه نعم أعطيه المبلغ .
فقال القاضي : أنتما ترضيان بهذا الاتفاق ولكن العدل والقانون
يقضيان بأن يأخذ اليهودى رطل اللحم مع المحافظة على الشرطين
الذين اشترطتهما المحكمة . فعلت ضجة الاستحسان ثانياً فى قاعة
الحكم وفرحت الجماهير لرجوع اليهودى بخفى حنين واليهودى
يلطم وييكى ويندب ماله وابنته وبعد صمت رهيب قال القاضي
أنه بناء على المادة ٩٠ من القانون الجنائى المراكشى التى نصها :
« إذا حاول يهودى قتل خارج عن دينه يقتل ثم يعطى نصف
أمواله للحكومة والنصف الآخر لغريمه » قد حكمت المحكمة بنص
هذه المادة على ناهون اليهودى الصهيونى الذى ثبت عليه محاولة
قتل سيدى محمد الجزولى التاجر المسلم حتى أمام المحكمة . فصاح
اليهودى مولولا وضج بالبكاء والعويل وطلب من المحكمة أن

ترفق بحاله . فقال له القاضى : لما كان العفو من شيمتنا والرحمة من شريعتنا فقد عفوت عن حياتك ولكن لا بد من ضبط اموالك لأنك جعلتها حباثلا تصيد بها الناس وترمى بها عباد الله فقال ناهون لا بل اقتلونى ولا تبقرنى بعد أموالى ساعة واحدة فلا حياة لى بغير المال . ولكن لم تصنع المحكمة لكلامه وأصدرت الأوامر بتنفيذ الحكم عليه .

فأخذ سيدى محمد الجزولى نصف مال اليهودى فاستعاض بعض خسارته وسافر مع صديقه إلى مراکش فسبقتهم إليها الأميرة وهناك علما بأنها هي التي حكمت فى القضية وتصرفت فيها بتلك الحكمة الباهرة .

أما اليهودى فإنه لم يمض عليه زمن إلا ومات حسرة وحزنا على فقد امواله وأبنته ورجوعه بالخيبة والخسران فاستراح الجزولى وصاحبه من شره وفرحوا بموته ولم يعد هناك ما يكدر صفاء راحتهما أو يشوب رغد عيشهما إلا انقطاع أخبار بطرس عن الجزولى لأنه لم يكن يخطر بباله بأنه يقدم على خيائه وفى أحد الأيام جاء الخبر أن إحدى الجرائد الانكليزية قد أدرجت مقالة فحواها : انه دخل منذ شهرين إلى لندن عاصمة بلاد الانكليز شاب وفتاة جميلة الصورة فنزلا فى إحدى الفنادق العالية فأكثرا فى المدة الأولى الدخول والخروج وهما بصرفان الأموال

الطائفة ويوزوران مكافة محلات الزهر والملاهي حتى استلقت
 حالتهما أنظار رجال البوليس فراقبوهما ورأوا أن الرجل كان
 في كل هذه الملاهي والمسرات كاسف البال يادى الحزن والكآبة
 مع أن رفيقته متبهجة متلهلة . ثم انقطعا بعد مدة عن هذه السيرة
 ونذرا خروجهما من الفندق إلى أن حدث في الشهر الفائت أن
 أصحاب الفندق دخلوا إلى غرفة هذين الضيفين ورأوا الشاب ملقيا
 على الأرض مضرجا بدماءه وأن الفتاة قد فرت . فلم يعد هناك
 شك بأنها الفاعلة لهذه الجريمة فطاردها رجال البوليس حتى القوا
 عليها القبض وهي على حدود إنكلترا تبغى السفر إلى فرنسا
 فحوكت وما زال بها القاضى حتى اعترفت بأنها الفاعلة لهذه
 الجريمة وأنها تدعى إستر أما الرجل فيدعى بطرس وهو وكيل
 لرجل من أعظم تجار مدينة طابجة يدعى سيدى محمد الجزولى
 وهم جميعا من بلدة طابجة من أعمال المغرب الأقصى . وقد عشقها
 الشاب وهرب بها إلى هنا بأموال سيده فضاوخته هي رغبة في
 أمواله حتى تسنت لها الفرصة ففتكت به وفرت بالأموال فحكمت
 عليها المحكمة العليا بالأشغال الشاقة المؤبدة ووضعت الأموال
 في صندوق الأمانات حتى يطلبها التاجر المذكور

فتسكدر الجزولى لهذا الخبر وحزن لموت وكيله لأنه علم إنه
 ذاك بأن تلك الفتاة كانت ابنة ناهون اليهودى فهى غائبة عن

البلاد ولم يسمع لها خبر من عدة أشهر . فأدرك أنها فعلت ذلك
 باتفاق مع أبيها للانتقام منه فوق الانتقام على بطرس .
 فعزى عائلة وكيه على فقدته وغمرها بالانعام ثم طلب
 أمواله من الحكومة البريطانية وأرسل في طلب
 المراكب الراسية في مياه أسبانيا لأنها كانت لم
 تزل تنتظر رجوع بطرس . وقد عاد إليه
 عزه وعادت إليه أمواله وعاش عزيزاً
 بأصدقائه محاطاً بأحبائه إلى أن أتاها
 هادم اللذات ومفرق الجماعات
 سبحان الحي الذي لا يموت .